

محمود سبلي

حياة رسول الله

دار الفيل
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

2005م - 1426هـ



دار الجبل

للنشر والطباعة والتوزيع

ISBN: 9953-78-077-3

بيروت: البوشرية - شارع الفردوس - ص.ب. : 8737 (11)
هاتف: 689950 - 689951 - 689952 / فاكس: 689953 (009611)

E.mail: daraljl@inco.com.lb.

Website: www.daraljl.com

القاهرة: هاتف: 5865659 / فاكس: 5870852 (00202)

تونس: هاتف: 71922644 / فاكس: 71923634 (00216)

الاهيَاء
اللهم منكَ واليكُ

محمود سبني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

ما شاء الله ... لا قوة إلا بالله ...
لا تحسبن أن « حياة رسول الله » صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ... يمكن
أن توضع في كتاب كهذا صغير ...
لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ... وراة الإدراك ...
وفوق العقول ...
وصدق الله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ...
وإنما كان لهذا الكتاب الذي بين يديك ... قصة ... لطيفة ...
وقصته أنى كنت ذات يوم اقرأ السيرة الخالدة لابن هشام ...
فأنت حين قراءتها أنها شيء عظيم حقاً ... أوعت حياته صلى الله تعالى
عليه وسلم ... وجمعت ...
إلا أنها كتبت بمفاهيم عصرها ... الذي سجلت فيه ...
فرأيت أن أقدمها ... في اختصار يناسب أذواق قراء اليوم ، ومفاهيم
عصر الذرة والتلفزيون ...
فاستصفيت منها هذا الكتاب ... ووضعت في اعتباري ، أن يكون تركيزاً
أميناً ... لتلك السيرة الخالدة ...
فجاء بحمد الله ... فيه من كل شيء ... في تلك السيرة ...
ويخلو من كل شيء فيها ... بثقل على أذواق اليوم ...

وأحسب أنه بذلك ... يحقق للقارىء أن ينعم بالجمال المكنون في كتب
الأقدمين ... ينساب إليه في أسلوب سهل ... يوشك أن يكون في سهولة أسلوب
صحافة اليوم ..

ولقد اهتمت في ذلك بقوله تعالى : « وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ
مِنْ مُدَّكِرٍ » ؟ !

فالدعوة إلى الله، يجب أن تقدم إلى كل عصر، بفاهيم أهل ذلك العصر ...
وهو المشار إليه في قوله سبحانه : « بِلِسَانٍ قَوْمِهِ » .

وليس المراد باللسان اللغة فحسب ... وإنما أسلوب اللغة ... وكيفية أداء المعاني
إلى الناس ... بحيث تتجه إلى قلوبهم وعقولهم ... دون أدنى عناء ...

لقد بذلت أقصى جهدي ... كي يكون الكتاب سهلاً ... مع المحافظة على
حقائق المرجع الأصلية ...

ثم قطعته ... قطعاً قطعاً ... متجاورات ... وعنوت لكل قطعة
بعنوان بارز ...

كل أولئك ... لأذهب السامة عن قارئه ... فلا يمل ولا ينسى ...
وكم من كتاب ... من كتب الأقدمين ... لو وجد من يقدمه إلى الناس ...
في زينة العصر ... و « ديكور » اليوم ... لأقبلوا إليه يتسابقون ...
ولى مذهب في عرض المفاهيم الإسلامية ... آخذ به نفسى ... وقد لا يوافقني
عليه فريق من الكتابيين ...

أن تعرض تلك المفاهيم .. في أسلس أسلوب .. وأسهل أداء .. وأتقى صورة ..
لأن عصرنا ... عصر السرعة ... عصر الصعود إلى القمر في ساعات ...
هز أعصاب الناس هزاً عنيفاً ... فلا يستطيعون مع المطولات صبراً ...

فإن قيل : فليذهب أولئك مع الريح ... إنما نكتب للذين يريدون أن
يصابروا ويصبروا مع أعماق الحقائق ...

قلنا : ليس من الحكمة في شيء ما تقولون ...

بل نجيبهم في دينهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ...

ونسوق إليهم ما نسوق .. سوقاً جميلاً ...

عسى أن يكون منهم ... مَنْ يُقبل على الله اقبالاً طويلاً ...

هنالك ... وبعد أن يفتح قلبه ... سوف يبحث هو ... عن موسوعات
الأقدمين ... ويفوص خلالها غوصاً ...

فالدعوة إلى الله ... فن ...

فن عميق ... وبحر سحيق ...

والتوفيق فيها ... علامته ... أن تحسن جذب ... الشاردين ... إلى الله
جذباً لطيفاً ...

وكأئن من قلب شارد ... التقطه من بحر الفتن ... كتاب صغير ... أو تعبير
عارض جميل !

فعسى أن يكون هذا الكتاب الذي بين يديك ... هو الزهرة الجميلة التي
تحببك ... في تتبع حياته صلى الله تعالى عليه وسلم ... حيث شئت تفصيلاً ..

وقد تكون السباحة في « حوض السباحة » هي الباب الذي يدفعك إلى
السباحة في البحر المحيط !

محمود شاذلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

تلك هي قصة النبي صلى الله عليه وسلم ، اقتبسناها من مراجعها الأصلية - وأخذناها من منابعها الصافية ، تترقق كما يترقق الماء المصقى مع نسجات الربيع .
ولقد نظرنا فيما كتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قديماً أو حديثاً واستعرضناه ، وفكرنا فيه طويلاً ، فما وجدت أعذب من سيرة ابن هشام ، ولا أحلى منها مذاقاً .

لا لأنها أطول السير ، ولا أجمع التواريخ ، ولكن لأنها تمتاز بقرب عهدها من صاحب السيرة نفسه ، وكلما كان الماء قريباً من المنبع كلما كان أصفى .
وتمتاز كذلك بجزالة اللفظ ، وفصاحة التعبير ، وبلاغة الإيجاز .

فهي تأتي بالصفحات الطوال في ألفاظ قصار ، ومع هذا لم تخل ، ولم تقصد المعنى .

وتلك هي البلاغة العربية الأولى ، بلاغة قريش التي جاء القرآن يتحداها ويعجزها .

ولقد طربت طرباً كبيراً ، وأنا أتلو سيرة ابن هشام ، حين رأيتهما على جانب من البلاغة كبير .

من أجل ذلك كانت هي مرجعي الأول في هذا الكتاب .

ولقد تعمدت أن أحافظ على ألفاظها ، وأوردها بنصها ، لأن بلاغتها منقطعة النظير ، ولأنها حررت في عهد قريب من النبي صلى الله عليه وسلم .

إلا أن تلك السيرة كتبت بما يلائم عصرها ، ويمضى مع ذوق الجماهير المسلمة
في زمانها .

فهي تسجل أشعاراً طويلاً ، وقصائد واسعة في كل حادثة ، وكل واقعة .
وما كنت لأمضى معها في أشعارها ، ولكن ألقيت بالشعر بعيداً ، غير آسف .
عليه ، لأن ذوق هذه الأيام ، أصبح يخالف أذواق سالف الزمان .

فإن شئت أن تقول : إن هذا الكتاب يحوى بين دفتيه « سيرة ابن هشام »
فهو كما قلت ... ولكن بعد حذف الأشعار ، وحذف مالا جدوى فيه ، وحذف
ما يختلف فيه ، وحذف مالا يتفق مع روح العصر .

وكما قلت آنفاً ، إننى حافظت على ألفاظ سيرة ابن هشام لأحافظ على روحها
العربية الأصيلة ، فإننى أقول : إننى تصرفت في بعض ألفاظها القديمة التي تشق
على القارئ الحديث ، فجولتها إلى ألفاظ سهلة مألوفة للجماهير .
وثمة وجهة أخرى ...

تلك الوجهة ، هي أن الكتاب ليس ملخصاً لسيرة ابن هشام - وإن كان
جامعاً لزبدة ما فيها - ولكنه كتاب جديد عن حياة رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم .

فهو يتكلم عن حياته عليه السلام - من مولده إلى وفاته - ويسجل وقائع
تلك الحياة تسجيلًا صادقًا أصيلاً .

فلا خرافات ... ولا خيالات ... ولا التواءات ... ولا انحرافات ... ثم
هو بعد ذلك له منهجه فيما تكلم فيه أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ومنهجه في ذلك ، أن أولئك أحقر من أن يقام لهم وزن ، أو يلقي إليهم
بحديث .

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من أن تطمسه ، وتطفى نوره تلك
الحشرات الدابة على الأرض .

إنما مثل محمد صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الذين يريدون أن يطفئوا نوره ،
كمثل صفار وقفوا في خلاء ينظرون إلى الشمس في يوم صحو ، في الظهيرة ،
فلما أن بهرت أعينهم بشعاعها ، وعجزوا عن فتح أعينهم في قرونها ، قالوا لأنفسهم
هلم ننفضها بأفواهنا ، فنطقوا نورها ، انتقاماً منها لأنها آذت أبصارنا !! .

تماماً ... أعداء محمد صلى الله عليه وسلم ، نظروا إلى نوره ، فإذا هو يسطع
من الأرض إلى السماء ، فما استطاعوا أن ينظروه ، وما استطاعوا له إحاطة ،
فوقفوا ينفضون بأفواههم ، ليطفئوا نور الله ، والله متم نوره ، ولو كره
المجرمون .

فالرسول صلى الله عليه وسلم أعظم من أن يطمس ، وهؤلاء أحقر من أن
نشغل أنفسنا بالرد عليهم .

فكان المنهج من ذلك الكتاب في تلك الناحية ، أن أمضى أقص على الناس
قصة رسول الله ، في صدق وصفاء ، وهي بذلك خير رد على هؤلاء ، وخير دليل
على عظمة رسول الله .

وهذا الأسلوب هو أقوى دفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فما عليك إلا أن تجلي حياته للناس ، حتى إذا تلالأت في السماء وقف أعداؤه
ينظرون إليه وقد بهرتهم أنواره العالية .

فأنا لا أتعب نفسي ، ولا أتعب الناس معي ، في الرد على المستشرقين ،
أو الرد على أعداء الدين ، أو الرد على الملحدين ، أو الرد على المتزولين
من المسلمين .

ولكن أقول لهؤلاء وهؤلاء هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا
رسول الله ، هذا هو - بغير « رتوش » أو نقص ، أو زيادة - فهل تنعمون منه
من شيء ؟ وهل تعيون منه أمراً من الأمور ؟ .

فسيقولون : ماعهدنا عليه إلا خيراً .

فأقول لهم : فذلك الذى تقولون فيه ما ليس فيه .

ولست أريد من ذلك المذهب أن أقول بإهمال الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما أريد أن أقول : إن ذلك مذهبي من هذا الكتاب وحده .

وليس يمنع - بعد ذلك - أن أكتب كتاباً مستقلاً في الدفاع عن رسول الله ودحض الشبهات التى ألقاها المجرمون من حوله .

بل إنى لأقول : إن ذلك الدفاع لازم وفرض عين على كل مسلم ، أن يدافع عن رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولكنى حريص فى هذا الكتاب ، أن أبرئه من القيل والقال وكثرة السؤال ، وأن أجعله يجرى إلى القلوب جريان الماء العذب إلى جوف الظمآن .

فعلى الذين يريدون القيل والقال ، والرد ، والسؤال ، أن يلتمسوا ذلك فى غير هذا الكتاب .

أما الذين يريدون رسول الله وحده ، فإنهم واجدوه فى هذا الكتاب ، وقارئوه بين ثناياه .

ولقد اضطربت اضطراباً كبيراً ، وأنا أتقدم للكتابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هل أكتب عنه كما يكتب المؤرخون ، كتاب وقائع وبدائع وصنائع ، ليس فيها من آثار الروح والعاطفة من شئ ؟ .

أم أكتب عنه كتاب إيمان وتصوف ، وحب وتدين ؟ .

فما وجدت لآتجاهٍ منهما من طعم ، وما وجدت لطريقٍ منهما من مذاق ! .
فكيف السبيل إذاً ؟ .

كيف السبيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

هل أكتب عنه قصة ... نعم إن حياته أروع قصة ... ولكنه أعظم من...
أن يكون قصة ؟ .

هل أكتب عنه كتاباً في التاريخ ... نعم هو أعظم ماعرف التاريخ ...
ولكنه أسمى من أن يكون تاريخاً ؟ .

هل أحرر للناس سيرته ... نعم إن له لسيرة كما للناس سيرة ... ولكن
سيرته شيء غير ما ألف الناس من سير ؟ .

فما كان جواب نفسي إلا أن قالت : دعني ورسول الله صلى الله عليه وسلم ...
وخل بيني وبينه ... وسوف أقول عنه ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ،
ولا خطر على قلب بشر ! .

وناداني قلبي : حطم القيود ، ودمر السدود ، واتركني ورسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وسوف أعبر عنه التعبير الذي أحسه ، ولا أستطيع أن أنقله إلا
إذا كنت حراً محرراً .

واستمعت إلى نداء نفسي ، وتسمعت إلى مناجاة قلبي ... وقلبت وجهي في
السماء ... حائراً ...

فلما تبين أنه الحق ... وانشرح له صدرى ، وقرت به عيني ... كتبت عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لا أريد أن أكتب تاريخاً ، ولا تحليلاً ، ولا قصة ، ولا سيرة ، ولا مدحاً
ولا نقداً ، ولا تبويهاً .

ولكن ما أحسه كرجل يؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولكن ما أعتقد أنه الحق من قصة محمد صلى الله عليه وسلم .

كل ذلك فى انطلاق وانبثاق ...

انطلاق لا يقيدته إلا النص السماوى الذى لامرية فيه .

وانبثاق لا يطعمه ظلام الألفاظ ، ولكن ينميه نور اليقين ، وحب الشخصية المكتوب عنها .

انطلاق ... وانبثاق .

وهذا هو الأسلوب من ذلك الكتاب .

والله أسأل أن يجعله شيئاً لديه مرضياً ، وأن يدخله إلى قلوب الناس مدخلاً كريماً .

محمود متنبى

القاهرة فى { ١٣٨٢ هـ
١٩٦٦ م

مَاذَا قَبْلَ الْبُعْثَةِ؟

متى ولد؟

يوم الاثنين ... من شهر ربيع الأول ... في الثاني عشر من ذلك الشهر .
وضعته أشرف عقيلة في قريش ، آمنة بنت وهب .

وضعته يثما !! .

اتمد توفى أبوه ، عبد الله بن عبد المطلب ، وهو جنين في بطن أمه !! .

ذلك أن عبد الله خرج إلى الشام ، إلى غزة ، في غير من عيران قريش ،
يحملونه تجارات ، فقرعوا من تجاراتهم ، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة .. وعبد الله
ابن عبد المطلب يومئذ مريض . فقال : أتخلف عند أخوالي بني عدى بن النجار .
فأقام عندهم مريضاً شهراً ، ومضى أصحابه ، فقدموا مكة ، فسألهم عبد المطلب عن
ابنه عبد الله ، فقالوا : خلفناه عند أخواله بني النجار ، وهو مريض . فبعث إليه
عبد المطلب أكبر ولده ، الحارث ، فوجده قد توفى ودفن في دار النافعة . فرجع
إلى أبيه فأخبره ، فحزن عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته حزناً شديداً ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ جنين ، ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفى
خمس وعشرون سنة .

اتمد توفى أبوه وهو جنين في بطن أمه ... وهذا أبلغ اليتيم وأعلى مراتبه .

وكان ذلك أول بلاء يواجهه الطفل الوليد ... وإن كان لا يدري شيئاً عن
تلك المعاني ... إلا أن المقادير كانت تدري ، وكانت تؤهله لأمر عظيم ! .

وألهمهم الله عز وجل أن سموه محمداً ... ليلتقى الاسم والفعل ، ويتطابق الاسم
والمسمى ، في الصورة والمعنى .

وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

من لليتيم ؟

عن حليلة بنت الحارث أنها قالت : قدمت مكة في نسوة من بني سعد نلتبس بها الرضعاء ، في سنة شهباء ، فقدمت على أتان لي قراء كانت أذمت^(١) بالركب ، ومعى صبي لنا ، وشارف لنا ، والله ماتبض بقطرة ، وما ننام ليلتنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ، مانجد في ثدي مايفنيه ، ولا في شارفنا مايفنيه . ولكنا كنا نرجو الفيث والفرج ، فخرجت على أتانى تلك ، فلقد أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ، ضعفاً وعجزاً ، فقدمنا مكة ، فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه ، إذا قيل إنه يتيم تركناه . قلنا ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه ؟ . إنما نرجو المعروف من أبي الولد ، فأما أمه فإذا عسى أن تصنع إلينا ؟ . فوالله ما بقى من صواحي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيرى ، فلما لم نجد غيره ، وأجمعنا الانطلاق قلت لزوجى الحارث بن عبد العزى ، والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحي ليس معى رضيع ، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلاأخذه . فقال : لا عليك أن تفعل ، فعسى أن يجعل الله لنا فيه خيراً فذهبت ، فأخذه ، فوالله ماأخذه إلا أنى لم أجده غيره ، فما هو إلا أن أخذه ، فحشيت به رحلى ، فأقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ! . فشرب حتى روى ، وشرب أخوه حتى روى ! . وقام صاحبى إلى شارفنا تلك ، فإذا إنها الحافل ، فحلب ما شرب ، وشربت حتى روينا . فبتنا بخير ليلة ، فقال صاحبى حين أصبحنا : يا حليلة . . . والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة . ألم ترى مابتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه ؟ ! فلم يزل الله عز وجل يزيدنا خيراً ، ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا ، فوالله لقطعت أتانى بالركب حتى مايتعلق بها حمار ، حتى أن صواحي ليقطن : ويلاك يا بنت أبى ذؤيب ،

(١) أى جاءت عما نذم عليه .

هذه أتانك التي خرجت عايها معنا ؟ ! فأقول : نعم ، والله إنها لهى . فقلن :
والله إن لها لشأنا . حتى قدمنا أرض بنى سعد وما أعلم أرضاً من أرض الله
أجذب منها ، فإن كانت غنى لتسرح ، ثم تروح شباعاً لبناً ، فنحلب ماشئنا ،
وما حوالينا أو حولنا أحد تبض له شاة بقطرة لبن ، وإن أغنامهم لتروح
جياعاً ، حتى إنهم ليقولون لرعاتهم . ويحكم ، انظروا حيث تسرح غنم بنت
أبى ذؤيب ، فاسرحوا معهم . فيسرحون مع غنى حيث تسرح ، فتروح
أغنامهم جياعاً ما فيها قطرة لبن ! . وتروح أغنامى شباعاً لبناً ، نحلب ماشئنا
فلم يزل الله يرينا البركة يتعرفها حتى بلغ سنتين ، فكان يشب شباباً لاتشبه
الغلمان . فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاماً يقوى على الأكل . فقدمنا به
على أمه ، ونحن أضن شئ به ، مما رأينا فيه من البركة . فلما رأته أمه ، قلت .
لها : دعينا نرجع بابننا هذه السنة الأخرى ، فإننا نخشى عليه وباء مكة . فوالله
مازلنا بها حتى قالت نعم . .

عودة الطفل إلى أمه

وعادت حليلة بالصبي حيث كانت تقيم . . . ثم أعادته إلى أمه بعد شهرين .
أو ثلاثة . . .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب ، وجده .
عبد المطلب فى كلاءة الله وحفظه ، ينبته الله نبأناً حسناً ، لا يريد به من كرامته .

ولكن الأم تموت !

فلما بلغ ست سنين . . .

ماذا حدث لليقيم الصغير ؟ .

قدمت آمنة بنت وهب به على أخواله من بنى النجار بالمدينة ، تزيره

إياهم . . .

ثم ماذا؟

- ثم ماتت أمه وهي راجعة به إلى مكة ، ماتت بالأبواء .
- وتوفيت أمه آمنة بنت وهب ، وهو ابن ست سنين ! .
- وصار الصبي اليتيم لطيفاً . . . فاقداً لأبويه !! .

عبد المطلب يكفله

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بن هاشم ، بعد موت أمه آمنة بنت وهب .

فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له .
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي ، وهو غلام قوى ، حتى يجلس عليه .

فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب ، إذا رأى ذلك منهم :
دعوا ابني فوالله إن له لشأناً .

ثم يجلسه معه على فراشه ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع .
ورق عبد المطلب عليه رقّة لم يرقها على ولده ! .
وكان يقربه منه ، ويدنيه ، ويدخل عليه إذا خلا ، وإذا نام .
فلما حضرت عبد المطلب الوفاة ، أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحياطته .

ثم مات عبد المطلب ، ودفن بالحجون .
وكان صلى الله عليه وسلم وقتئذ ابن ثمان سنين .

أبو طالب يكفله

فلما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فكان يكون معه .

وكان أبو طالب لا مال له ، وكان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده !
وكان لا ينام إلا إلى جنبه !

ويخرج فيخرج معه .

وكذلك جعل الله حب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً في شغاف
قلوبهم ، وألقى عليه محبة منه ، فما رآه عبد المطلب إلا أحبه ، وما رآه أبو طالب
من بعده إلا أحبه حباً شديداً .

بحيرى الراهب

ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام .

فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع المسير ، صَبَّ^(١) به رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فرقَّ له ، وقال أبو طالب : والله لأخرجن به معي ، ولا يفارقني ولا أقارقه أبداً .
فخرج به معه ، فلما نزل الركب بُصِّرَى من أرض الشام ، وبها راهب يقال
له بحيرى في صومعة له ، وكان إليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة
منذ قط راهب إليه ، يصير علمهم عن كتاب فيها ، يتوارثونه كابراً عن كابر .
فلما نزلوا ذلك العام ببخيري ، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك ،
فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريباً من صومعته
صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك - فيما يزعمون - عن شيء رآه وهو في صومعته :
يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صومعته في الركب حين
أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم .

(١) « صب به » : اشتد ميله إليه ، ورق قلبه له .

ثم أقبلوا فبرزوا في ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتهصرت^(١) أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها .

فلما رأى ذلك يحيرى نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم ، قال : إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ، فأنا أحب أن تحضروا كلكم ، صغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحرکم .

قال له رجل منهم : والله ، يا بحيرى ، إن لك لشأناً اليوم ، ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيراً !! فما شأنك اليوم ؟

قال له بحيرى : صدقت ، قد كان ما تقول : ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلون منه كلكم .

فاجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم ، لحدائة سنه ، وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ من العمر ثنتا عشرة سنة ، يتخلف في رحال القوم تحت الشجرة .

فلما نظر بحيرى في القوم ولم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده قال : يا معشر قريش ، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى .

قالوا له : يا بحيرى ، ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلاماً وهو أحدث القوم سنّاً ، فتخلف في رحالهم .

قال : لا تفعلوا ، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم .

قال رجل من قريش مع القوم : واللوات والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ، ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم .

(١) تهصرت : مالت وتدلت .

فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده ،
وقد كان يجدها عنده من صفته .

حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، قام إليه بحيرى فقال له : يا غلام ،
أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ؟

وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما .

فزعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تألنى باللات والعزى
شيئاً ، فوالله ما أبغضت شيئاً قطُّ بُغْضَهُمَا » .

فقال بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ؟

فقال له : « سلنى عما بدا لك » .

فجعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه ، وهيئته ، وأموره .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ، فيوافق ذلك ما عند بحيرى
من صفته .

ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته
التي عنده .

فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال له : ما هذا الغلام منك ؟

قال : ابنى .

قال له بحيرى : ماهو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً .

قال : فإنه ابن أخى .

قال : فما فعل أبوه ؟

قال : مات وأمه حُبلى به .

قال : صدقت ... فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله
لئن رآوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً ... فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن
عظيم ، فأسرع به إلى بلاده .

فخرج به عمه أبوطالب سريماً ، حتى أقدمه مكة ، حين فرغ من تجارته بالشام .

الأمين

ولقد شب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءةً ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم حسباً ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حِلماً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانةً ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً ، حتى ما اسمه في قومه إلا «الأمين» لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

يشهد حرب الفجار

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة ، هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان . وكان الذي هاجها أن عروة أجار لطيمة^(١) للنعمان بن المنذر . فقال له البراء بن قيس : أتجيرها على كنانة ؟ قال : نعم ... وعلى الخلق كله .

فخرج فيها عروة ، وخرج البراء يطلب غفلته ، حتى إذا كان بالعالية غفل عروة ، فوثب عليه البراء ، فقتله في الشهر الحرام ، فلذلك سمي الفجار ، لأنه كان قتالا في الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعاً .

فأتى آت قريشاً فقال : إن البراء قد قتل عروة ، وهم في الشهر الحرام بمكاذ . فارتحلوا وهوازن لاتشعر بهم ، ثم بلغهم الخبر ، فأتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن . ثم التقوا بعد هذا اليوم أياماً ، والقوم متساندون - أي ليس لهم أمير واحد يجمعهم - على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم ، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم .

(١) اللطيمة : الجمال التي تحمل المسك ، وإجارتها : أن يكون لها جارا فيمنع التعدي عليها .

وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم ، أخرجهم أعمامهم معهم .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت أنبئ على أعمامى » ، أى
أرد عنهم نبئ عدوهم إذا رموهم بها .

يتزوج

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة تزوج خديجة
بنت خويلد .

وكانت خديجة امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها ،
وتضاربهم إياه بشئ ، يجعله لهم .
وكانت قريش قوماً تجاراً .

فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها : من صدق حديثه ،
وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها إلى
الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال
له ميسرة ، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وخرج فى مالها ذلك ،
وخرج معه غلامها ميسرة ، حتى قدم الشام .

ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التى خرج بها ، واشترى ، ثم
أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة .

وحدثها ميسرة عن شمائله ومكارمه .

وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة ليبة .

فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به ، بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له : يا ابن عم ، إني قد رغبتُ فيك ، لقرابتك ، وشرفك فى قومك ،
وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك .

ثم عرضت عليه نفسها .

وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهن شرفاً ،
وأكثرهن مالا .

كلُّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه .
فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه
عمه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد ، فخطبها إليه ، فتزوجها .
وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة .
وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتزوج
عليها غيرها ، حتى ماتت رضى الله عنها .

فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولد كلهم إلا إبراهيم .
ولدت له القاسم ، والطاهر ، والطيب ، وزينب ، ورُقَيَّة ، وأم كلثوم ، وفاطمة .
وأكبرَ بنيه القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر ، وأكبر بناته رقية ، ثم زينب ،
ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا في الجاهلية ، وأما بناته فكلهن
أدركن الإسلام فأسلمن ، وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم .

وأما إبراهيم فأمه مارية ، التي أهداها إليه المقوقس صاحب اسكندرية .
وكن عمر خديجة حين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين
سنة ، وقيل خمساً وعشرين سنة .

يَحْتَكُمُونَ إِلَيْهِ

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش
لبنيان الكعبة .

فلما تم لهم هدمها ، جمعت القبائل من قريش الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع
على حدة ، ثم بنوها ، حتى بلغ البنيان موضع الحجر الأسود ، فاخصموا فيه .

كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا ،
وتحالفوا ، وأعدوا للقتال .

فكثت قريش على ذلك أربع ليالٍ أو خمساً ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد
وتشاوروا ، وتناصفوا .

فقال أبو أمية بن المغيرة ، وكان عامئذ أسنَّ قريش كلها : يامعشر قريش
اجعلوا بينكم ، فيما تختلفون فيه ، أول من يدخل من باب هذا المسجد ، يقضى
بينكم فيه ... ففعلوا .

فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد .
فلما انتهى إليه أخبروه الخبر .

فقال صلى الله عليه وسلم : « هلمُّ إلى ثوباً » فأتى به ، فأخذ الحجر الأسود
فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه
جميعاً ، ففعلوا ، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه .
وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه
لوحى « الأمين » .

* * *

وهكذا كانت حياته صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله إلى الناس كافة .
حياة هادئة صافية .

فهو ابن الصحراء ، نشأ فيها أصولاً وفروعاً .
والصحراء تطبع أهلها بالصفاء ، وتفرس في أبنائها حب الحرية ، وحب
الشجاعة ، وحب الكرم ، وحب السخاء .
هذا من ناحية البيئة التي نشأ فيها .

أما عن السلالة فهو ابن إبراهيم خليل الله ، ابن إسماعيل ذبيح الله ، ابن
قريش سادة العرب ، ابن بنى هاشم سادة قريش .

ومتى اجتمع للانسان كرم الأصول ، وكرم المنبت ، فهو الشجرة الطيبة
في الأرض الطيبة .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته ، يُصنع صناعة خاصة
على عين ربه عز وجل .

فما من شيء يؤدي إلى جماله وكاله إلا أخذ به ربه إليه .
وما من شيء يقربه من الإنسانية ، ويباعده من الكبر والجبروت ، إلا سلك
الله به إليه سبيلا .

هذا أبوه يموت وهو جنين في بطن أمه .
ثم هذه أمه تموت وهو ابن ست سنين .
فيجتمع عليه من فقدته وموتها يتان أليمان .
والنفس إذ تحزن تفكر وتتعمق تفكيرها ، فتبتدى من حزنها إلى حقائق
كانت عنها لاهية .

ليس هذا وحده ، وإنما هناك بعد ذلك موت جده عبد المطلب ... فما بلغ
صلى الله عليه وسلم ثمانى سنين حتى ذهب عبد المطلب إلى ربه .
فقد محمد صلى الله عليه وسلم بموته جداراً ضخماً كان يستند بظهره إليه .
ولم يقف البلاء برسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ، وإنما ساقه القدر
إلى كفالة عمه أئى طالب الرجل الفقير ذى العيال !

فتألم صلى الله عليه وسلم ، وتعلم ، ولكنه لم يتكلم .
تعلم أن فى الحياة آلاماً لا يحترق بنارها إلا من اصطلاها وعانها .
وأن فيها ظروفًا هى أشق على النفس من لقاء الموت .
ولقد كان لزاماً ، وحتماً مقضياً ، أن يمر محمد صلى الله عليه وسلم بتلك التجارب ..
وكان ذلك هو التمهيد لبناء إنسانيته الأولى قبل النبوة .

البعثة

فلما بلغ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة ، بعثه الله تعالى رجة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً .

وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه .

وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه .

يقول الله تعالى لحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي) أى : ثقل ما حملتكم من عهدى (قالوا أقرَرْنَا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشَّاهدين) .

فأخذ الله ميثاق النبيين جميعاً بالتصديق له ، والنصر له ممن خالفه ، وأدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين .

بدء الوحي

وكان أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة ، الرؤيا الصادقة . لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فى نومه إلا جاءت كفلق الصبح . وحَبَّبَ الله تعالى إليه الخلوة ، فلم يكن شئ أحب إليه من أن يخلو وحده . وكان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تبعد عنه البيوت ، ويفضى إلى المواضع الخفية بين جبال مكة ، ويطون أوديتها ، فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله ، وعن يمينه ، وشماله ، وخلفه ، فلا يرى إلا الشجر والحجارة .

فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ، ما شاء الله أن
يمكث ، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحراء في شهر رمضان .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف في حراء من كل سنة شهراً .
وكان ذلك مما يتعبد به قريش في الجاهلية .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف ذلك الشهر من كل سنة ،
يطعم من جاءه من المساكين .

فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك ، كان أول
ما يبدأ به - إذا انصرف من معتكفه - السكبة ، قبل أن يدخل بيته .

حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراه من كرامته ، من
السنة التي بعثه الله تعالى فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى حراء ، كما كان يخرج لمعتكفه ...

حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالاته ، ورحم العباد بها ، جاءه
جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءني جبريل وأنا نائم بنمطٍ من ديباجٍ
فيه كتابٌ ؛ فقال : اقرأ ، قال : قلت : ما أقرأ ، قال : ففتتني^(١) به حتى ظننتُ
أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قال : قلت : ما أقرأ ؟ ، قال : ففتني به
حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قال : قلت : ماذا أقرأ ؟ قال :
ففتني به حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قال : قلت : ماذا أقرأ
- ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي - فقال : اقرأ ، باسم
ربك الذي خلق * خالق الإنسان من علقٍ * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم
بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم . قال : فقرأتها ، ثم انتهت فانصرف عني ، وهبتُ

(١) غنى: عصرني عسراً شديداً حتى وجدت منه المشقة ، كما يجد من يغمس في الماء قهراً.

من نومي فبكأنما كتبت في قلبي كتاباً ، قال : فخرجت حتى إذا كنت في وسطه من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، قال : فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صافٍ قديمه في أفق السماء ، ويقول : يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، قال : فوقفت أنظر إليه ، فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء ، قال : فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيتك كذلك ، فمازلت واقفاً ما أتقدم أمامي وما أرجع وراءني ، حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها ، وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني ، وانصرفت راجعاً إلى أهلي ؛ حتى أتيت خديجة ؛ فجلست إلى نخلها مضيقاً^(١) إليها ؛ فقالت : يا أبا القاسم ، أين كنت ؟ . فوالله لقد بعثت رسل في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لي ! . ثم حدثتها بالذي رأيت ، فقالت : أبشر يا ابن عم واثبت . فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ؛ ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عمها ؛ وكان ورقة قد تنصّر ؛ وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع .

فقال ورقة بن نوفل : قدوسٌ قدوس ؛ والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتيني يا خديجة ؛ لاند جاءه الناموس^(٢) الأكبر الذي كان يأتي موسى ؛ وإنه لنبي هذه الأمة ؛ فقل لي له فليثبت .

فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة بن نوفل . وفي رواية البخاري : . . . فرجع^(٣) بهار رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) مصيفاً : ملتحفاً بها مانلاً إليها . (٢) الناموس : الملك الذي جاءه بالروحى .

(٣) فرجع بها : بالكلمات التي ألقاها إليه الملك .

يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد . فقال : زملوني زملوني ، فزملوه .
حتى ذهب عنه الروع . فقال لخديجة ، وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي .
فالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم ، وتقرى^(١)
الضيء ، وتحمل^(٢) الكل ، وتكسب^(٣) للمعدوم وتعين على نوائب الحق^(٤) .
فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل

أول من آمن

فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، على ما يلقى من قومه .
من الخلاف والأذى .

وآمنت به خديجة ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره .
وكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء منه ، تخفف الله بذلك .
عن نبيه صلى الله عليه وسلم .

لا يسمع شيئاً مما يكرهه ، من رد عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك إلا فرج .
الله عنه بها إذا رجع إليها : تثبته وتخفف عليه ، وتصدق ، وتهون عليه أمر الناس .

فتور الوحي

ثم فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة من ذلك ، حتى شق .
ذلك عليه فأخزنه .

فجاءه جبريل بسورة الضحى ، يقسم له ربه — وهو الذى أكرمه بما
أكرمه به — ماودعه ربه وماقلاده ، فقال تعالى : (والضحى . والليل إذا سجى .

(١) تقرى : تكرمه .

(٢) وتحمل : يعطى الفقير ما يريجه . من ثقل تكاليف عياله .

(٣) وتكسب : تبادر إلى إعطاء الفقير .

(٤) إذا وقعت نائبة لأحد في خير أعنت فيها ، وقت مع صاحبها حتى يجد قواماً

من هيش .

ماودعك ربك وما قلى) يقول : ماضرك فتركك وما أبفضك منذ أجبك
(وللآخرة خير لك من الأولى) أى : لما عندى فى مرجعك إلى خير لك مما
عجبت لك من الكرامة فى الدنيا (وسوف يعطيك ربك فترضى) من الظهور
والنصر فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة (ألم يحذك يتيماً فأوى • ووجدك ضالاً
فهدى • ووجدك عائلاً فأغنى) يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته فى عاجل أمره ،
ومنه عليه فى يتمه وققره وضلالته واستنقاذه من ذلك كله برحمته (فأما اليتيم
فلا تقهر • وأما السائل فلا تنهر) أى لاتكن جباراً ، ولا متكبراً ولا غاشاً ،
فظاً على الضعفاء من عباد الله (وأما بنعمة ربك فحدث) أى : بما جاءك من الله
من نعمته وكرامته من النبوة ، فحدث : أى اذكرها وادع إليها .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد
من النبوة سرّاً ، إلى من يطمئن إليه من أهله .

بداية فرض الصلاة

وافترضت عليه الصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم •
افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افترضت عليه
ركعتين ركعتين كل صلاة •

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فتوضاً لها ليرىها كيف الظهور
للصلاة كما أراه جبريل ؛ فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه السلام ، ثم صلى
بها رسول الله عليه السلام كما صلى به جبريل ، فصلت بصلاته •

أول من آمن من الصبيان ؟

ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معه
وصديق بما جاءه من الله تعالى على بن أبى طالب •

وهو ابن عشر سنين يومئذ ، وكان مما أنعم الله على بن أبى طالب رضى
الله عنه أنه كان فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام •

أبو طالب يفاجئهما يصليان !

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة ، خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب ، ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا .

فكنا كذلك ما شاء الله أن يمكننا .

ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخي ، ماهذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : « أى عم هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رسله ، ودين أبينا إبراهيم » .

فقال أبو طالب : أى ابن أخي ، إني لأستطيع أن أفارق دين آبائي ، وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص إليك بشئ ، نكرهه ما بقيت .

وقال أبو طالب لعلي : أى بنى ؛ ماهذا الدين الذى أنت عليه ؟ .

فقال : ياأبت آمنت بالله وبرسول الله ؛ وصدقت بما جاء به ؛ وصليت معه لله ؛ واتبعته .

فقال له : أما إنه لم يدعك إلا إلى خير ؛ فالزمه .

اسلام زيد بن حارثة

ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب .

اسلام أنى بكر

ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة .

فلما أسلم أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله ، وكان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه ، مُحَبَّباً سهلاً وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر .

وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف .
وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ؛ لعلمه ، وتجارته
وحسن مجالسته .

فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يفساه
ويجلس إليه .

فأسلم بدعائه عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ،
وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله .

فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له ، فأسلموا
وصلوا .

فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام .
فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله .

السابقون الأولون

ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح ، وأبو سَلَمَة ، والأرقم بن أبي الأرقم
وعثمان بن مظعون ، وأخوه قدامة ، وعبد الله ابنا مظعون : وعبيدة ابن الحرث ،
وسعيد بن زيد ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب ، وأسماء
بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر ، وهي يومئذ صغيرة ، وخباب بن الأرت .
وأسلم عمير بن أبي وقاص ، أخو سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ،
ومسعود بن القاري .

وأسلم سَلِيط بن عمرو ، وأخوه حاطب بن عمرو .
وعياش بن أبي ربيعة ، وامرأته أسماء بنت سلامة .
وخُنَيْس بن حذافة ، وعامر بن ربيعة .
وعبد الله بن جحش ، وأخوه أحمد بن جحش .
وجعفر بن أبي طالب ، وامرأته أسماء بنت عميس .

وحاطبُ بن الحرث ، وامراته فاطمة بنت المجلّل ، وأخوه حطّاب بن الحرث ، وامراته فُكيهة بنت يسار .

ومعمر بن الحرث ، والسائب بن عثمان ، والمطلب بن أّزهر ، وامراته رملة بنت أبي عوف ، ونعيم بن عبد الله ، وعامر بن فُهيرة ، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وخلد بن سعيد بن العاص ، وامراته أُمَيّنة بنت خلف .
وحاطب بن عمرو ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وواقد بن عبد الله .
وخلد وعامر وعافل وإياس ، بنو البُسَكر بن عبد ياليل .
وأسلم عمار بن ياسر ، وصهيب بن سنان .
ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا^(١) ، من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتُحدّث به .

الجهر بالدعوة

ثم إن الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يبادى الناس بأمره ، وأن يدعو إليه .
وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به ، إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين من مبعثه .
ثم قال الله تعالى له : (فاصدّع^(٢) بما تؤمر وأعرض عن المشركين)
وقال تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك قتل إني بريء مما تعملون) .

أول دم في الإسلام

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا في الشعاب ، واستخفوا بصلاتهم من قومهم .

(١) طائفة بعد طائفة . (٢) فافرق بين الحق والباطل .

فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة إذ اظهر عليهم نفر من المشركين ، وهم يصلون فناكروهم ، وعابوا عليهم ما يصنعون ، حتى قاتلهم .
فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلا من المشركين بعظمة بعير فشجه .
في مكان أول دم أهرى في الإسلام .

بدء الصراع

فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام ، وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها .
فلما فعل ذلك أعظموه ، وناكروه ، وأجمعوا خلافه وعداوته .
إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام ؛ وهم قليل مستحقون .
وعطف على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ، ومنعه ، وقام بدونه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مظهرًا لأمره لا يرد عنه شيء .

فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضيهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم . ورأوا أن عمه أبا طالب قد عطف عليه ، وقام بدونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب .
فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أعلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكف عنا وإما أن نُخَلِّي بيننا وبينه فإنك على مثل مانحن عليه من خلافه ، فنكفيكه .

فقال لهم أبو طالب قولاً زقيًا ، وردهم ردًا جميلاً ، فانصرفوا عنه .
ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه .. يُظهر دين الله ، ويدعو إليه ، ثم زاد الأمر بينه وبينهم ، حتى تباعد الرجال ، وتضاغنوا ، وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها .

وتذا مروا فيه ، وحض بعضهم بغضا عليه .

ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى .

فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا . وإنا قد استقنهميناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لانصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا أو نُنْازله وإياك في ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين .

ثم انصرفوا عنه . . .

فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، ولا خذلانه .

لو وضعوا الشمس في يميني ؟

ثم إن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا ، فأبق على وعلى نفسك ، ولا تحملي من الأمر مالا أطيع . فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء ، وأنه لحاذله ومؤسسه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عم والله ، لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه متركته » .

ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى . . . ثم قام . . .

فلما ولى . . . ناداه أبو طالب فقال : أقبل يا ابن أخي ، فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

أسلم إلينا ابن أخيك !

ثم إن قريشاً — حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله

صلى الله عليه وسلم وإسلامه ، وإجماعه لفرأقهم فى ذلك وعداوتهم — مشوا^١
بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له : يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد أقوى فتى
فى قريش وأجمله ، تخذه فلك ديتة إذا قتل وتصره ، واتخذته ولداً فهو لك ،
وأسلم إلينا ابن أخيك ، هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة
قومك ، وسفه أحلامهم فنقتله ، فإنما هو رجل برجل .

قال : والله لبئس ماتسوؤوتنى ! . أتعطوتنى ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم
ابنى تقتلونه ؟ . هذا والله مالا يكون أبداً .

فقال المظعم بن عدى : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على
التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً .

فقال أبو طالب للمظعم : والله ما أنصفونى ، ولكنك قد أجمعت خذلانى .
ومظاهرة القوم على ؛ فاصنع ما بدا لك .

فاشتد الأمر ، وحيت الحرب ، وترك القوم ما كان بينهم من عهد ، وبادى .
بعضهم بعضاً .

بدء التعذيب !!

ثم إن قريشاً تذاامروا بينهم على من فى القبائل منهم من أصحاب رسول الله .
صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه .

فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين .. يعذبونهم ، ويفتنونهم عن دينهم .
ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم منهم بعهه أبى طالب .

وقد قام أبو طالب — حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون — فى بنى هاشم
وبنى المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى مادعاهم إليه .
إلا ما كان من أبى لهب ، عدو الله الملعون .

ماذا نقول في محمد؟

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويردّ قولكم بعضه بعضاً .

قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، قتل وأقيم لنا رأياً نقتل به .

قال : بل أتم ققولوا أسمع .

قالوا : نقول : كاهن .

قال : لا والله ، ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزَمَزَمَةِ الكاهن لا سَجْعِه .

قالوا : فنقول : مجنون .

قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بِمَخْنَقِهِ ، ولا بِمَخَالِجِهِ ولا وسوسته .

قالوا : فنقول : شاعر .

قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رَجَزَهُ وَهَزَجَهُ وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر .

قالوا : فنقول : ساحر .

قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحَّار وسحَّارهم ، فما هو بنَفْثِهِمْ ولا عَقْدِهِمْ .

قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ ؟ .

قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لَعَذَقَ^(١) ، وإن فرعه لجناة^(٢) ، وما أتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف أنه باطل . وإن أقرب القول فيه لأن

(١) العَذَق : الكثير الشعب والأطراف . (٢) الجناة : فيه تمر ينجى .

تقولوا هو ساحر ، جاء بقول هو سحر ، يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته .
فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسُبل الناس - حين قدموا الموسم -
لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره .

فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة ، وفي ذلك من قوله : (ذرني ومن
خلقتُ وحيداً . وجعلتُ له مالا ممدوداً . وبنين شهوداً . ومهدتُ له تمهيداً ثم
طمع أن أزيد . كلا إنه كان لآياتنا عنيداً) أى : خصيماً . (سَأَرْهُقُهُ صَعُوداً .
إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ)
بسر : كره وجهه . (ثُمَّ أَدْبَرَ . وَاسْتَكْبَرَ . فَقالَ إِنَّ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْتَرُ . إِنَّ هَذَا
إِلا قول البَشَرِ)

وأنزل الله تعالى في رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من الله تعالى ،
وفي النفر الذين كانوا معه ، يصنفون القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما
جاء به من الله تعالى (كما أنزلنا على الْمُقْتَسِمِينَ : الذين جعلوا القرآنَ عُضِينَ)
أى أصنافاً (فوريك لنسألهم أجمعين . عما كانوا يعملون) م

فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمن لقوا
من الناس ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها .

فلما انتشر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في العرب وبلغ البلدان
ذُكِرَ بالمدينة .

ولم يكن حتى من العرب أعلم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين
ذكر ، وقبل أن يذكر ، من هذا الحى من الأوس ، والخزرج ، وذلك لما
كانوا يسمعون من أخبار اليهود ، وكانوا لهم حلفاء ، ومعهم في بلادهم .

إيذاء رسول الله

ثم إن قريشاً اشتد أمرهم للشقاء الذى أصابهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم سفهاءهم ، فكذبوه . وأذوه ، ورموه بالشعر ، والسحر والكهانة والجنون .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهرٌ لأمر الله ، لا يستخفى به ، مبادٍ لهم بما يكرهون : من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إيّاهم على كفرهم . وكان أشد مالتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وأذاه ، لآخر ولا عبد . فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله فتدثر من شدة ما أصابه فأنزل الله تعالى عليه (يا أيها المدثر . قم فأنذر) .

اسلام حمزة !

مر أبو جهل برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الضفا فأذاه وشتفه ، ونال منه بعض ما يكره ، من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره . فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجارية لعبد الله بن جُدعان فى مسكن لها تسمع ذلك .

ثم انصرف عنه ، فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة ، فجلس معهم . فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له ، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له . وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم . وكان أعز فتى فى قريش ، وأشد شكيمة .

فلما مر بالجارية وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له : يا أبا عمارة ، لو رأيت مالتى ابن أخيك محمد آنفاً من أبى الحكم بن هشام ؟

وجدته مهنا جالساً ، فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ، وه
يكلمه محمد !

فاحتمل حمزة الغضب فخرج يسعى ، ولم يقف على أحد ، مُعِدّاً لأبي جهل ،
إذا لقيه ، أن يوقع به .

فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم فأقبل نحوه .
حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجّه شجّة منكّرة .
ثم قال : أتشتمه ؟ فأنا على دينه ، أقول ما يقول ، فرُدّ ذلك على إن استطعت .
فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل .
فقال أبو جهل : دعوا أبا عماره ، فإني والله قد سببت ابن أخيه سبّاً قبيحاً .
فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عَزَزَ
وامتنع ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

عرض الدنيا على رسول الله

قال عُتْبَةُ بن ربيعة يوماً ، وكان سيداً ، وهو جالس في نادي قريش ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده : يامعشر قريش ، ألا أقوم
إلى محمد فأكله وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟
وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزيدون ويكثرّون .

فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم إليه فكلّمه .

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخي
إنك منا حيث قد علمت : من المنزلة الرفيعة في العشيرة ، والمكان في النسب ،
وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفّهت به أحلامهم ،
وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آباءهم ، فاسمع مني أعرض
عليك أموراً ننظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل يا أبا الوليد أسمع » .
قال : يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا ،
جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وإن كنت إنما تريد به شرفاً
سوء ذلك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك . وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك
علينا . وإن كان هذا الذي يأتيك رؤياً تراه ، لا تستطيع رده عن نفسك .
طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على
الرجل حتى يداوى منه .

حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال : « أقد
فرغت يا أبا الوليد ؟ »

قال : نعم .

قال : « فاستمع مني » .

قال : أفعل .

فقال : (بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب
فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قرآنًا عربياً لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم
لا يسمعون . وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه) .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه .
فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره ، معتمداً عليهما ،
يسمع منه .

ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد ، ثم قال :
« قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك » .

فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد
بغير الوجه الذي ذهب به !

فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟

قال : ورأى أنى سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة . يامعشر قريش أطيعونى ، واجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكوننَّ لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم : فإن نُصِبَ العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يَظْهَرْ على العرب فمُلْكُه ملككم ، وعزّه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به .
قالوا : سَحَرَك اللهُ يا أبا الوليد بلسانه !
قال : هذا رأيى ، فاصنعوا ما بدا لكم .

يسألون عنه اليهود !

ثم إن قريشاً بعثت النضر بن الحرث . ، وعُقْبَةَ بن أبى مُعَيْطٍ إلى علماء اليهود بالمدينة .

وقالوا لها : سلام عن محمد ، وصفا لهم صفته ، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء .
فخرجوا حتى قدما المدينة ، فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفا لهم أمره ، وأخبراهم ببعض قوله .

وقالوا لهم : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا .
فقاتلت لها علماء اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ؛ فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّلٌ فَرَّوْا فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان أمرهم ؟ ، فإنه قد كان لهم حديث عجب ، وسلوه عن رجل طَوَّافٍ قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هى ؟ . فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي ، وإن لم يفعل فهو رجل مُتَقَوِّلٌ ، فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم .

فأقبلا .. حتى قدما مكة على قريش ، فقالوا : يامعشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أخبرنا علماء اليهود أن نساله عن أشياء قد أمرونا بها :

فإن أخبركم عنها فهو نبي ، وإن لم يفعل فالرجل متيقول فرّوا فيه رأيكم .
فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا
في الدهر الأول ، قد كانت لهم قصة عَجَب ، وعن رجل كان طوافاً قد بلغ
مشارك الأرض ومغاربها ، وأخبرنا عن الروح ما هي ؟
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخبركم بما سألتكم عنه غداً » .
ولم يقل إن شاء الله ...
فانصرفوا عنه ...

فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسَ عشرةَ ليلة لا يحدث الله إليه
في ذلك وحياً ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة .
وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا
بشيء مما سألناه عنه .
وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مُكثُ الوحي عنه ، وشق
عليه ما يتكلم به أهل مكة .

ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة الكهف فيها معانيته إياه على حزنه
عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف ، والروح .
فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه
فيما حدث ، وبموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب ، حين سألوهم عما سألوهم
عنه ، حال الحسد منهم له بينهم وبين أتباعه وتصدقته ، ففتوا على الله ، وتركوا
أمره عياناً ، ولجوا فيما هم عليه من الكفر .

فقال قائلهم : (لا تسمعوا لهذا القرآن والفواغيه لعلكم تغلبون) أى
اجملوه لنفوا وباطلا ، واتخذوه هزواً لعلكم تغلبون بذلك ، فإنكم إن ناظرتموه
أو خاستمتموه يوماً غلبكم .

أول من جهر بالقرآن

وكان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله ما سمعت
فريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهم ؟
فقال عبد الله بن مسعود : أنا .

قالوا : إنا نخشام عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم
إن أرادوه .

قال : دعوني ... فإن الله سيمنعني .
ففدا ابن مسعود ، حتى أتى المقام فى الضحى ، رقرش فى أنديتها ، حتى قام
عند المقام .

ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) رافعاً بها صوته (الرحمن . علم القرآن) ...
ثم استقبلها بقرؤها .

وتأملوه : .. فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟

ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد .
فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ ، حتى بلغ منها ما شاء الله
أن يبلغ .

ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا فى وجهه .

فقالوا له : هذا الذى خشينا عليك .

فقال : ما كان أعداء الله أهون علىّ منهم الآن ، ولئن شئت لأغادبنهم
مثلهما عداءً .

قالوا : لا ... حسبك ... فقد أسمعتم ما يكرهون .

التعذيب يشتد !

ثم إنهم عدّوا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ..
فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين .

فجعلوا يجسسونهم ، ويعذبونهم ، بالضرب ، والجوع ، والعطش ، ورمضا .
مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ؛ فمنهم من يفتن .
من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يصلب لهم ، ويعصمه الله منهم .

أحد .. أحد !!

وكان بلال^ص صادق الإسلام ، طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف يخرج به .
— إذا حميت الظهيرة — فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة
العظيمة فتوضع على صدره .

ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى .
فيقول وهو في ذلك البلاء : أحدٌ أحد !!

حتى مر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً وهم يصنعون ذلك به .

فقال لأمية بن خلف : ألا تتق الله في هذا المسكين ؟ حتى متى ؟

قال : أنت الذي أفسدته ، فألقه مما ترى .

فقال أبو بكر : أفعُلْ ، عندي غلام أسود أجلدُ منه ، وأقوى على دينك ،

أعطيك به .

قال : قد قبلت .

قال : هو لك .

فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك ، وأخذ فاعتقه .

صبراً آل ياسر

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه - وكانوا أهل بيت
إسلام - إذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء مكة ،
فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : « صبراً آل ياسر ،
موعدكم الجنة » .
فأما أمه فقتلوها ، وهي تأنى إلا الإسلام .

أبو جهل يتولى الجريمة

وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش .
إذا سمع بالرجل قد أسلم ، له شرف ومنعة ، أنبّه وخزّاه ، وقال :
دين أهلك وهو خير منك؟! لنسفهن حلمك ، ولنقبحن رأيك ، ولنضعن شرفك .
وإن كان تاجراً قال : والله لنكسدن تجارتك ، ولنمأكن مالك .
وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به !

الهجرة الأولى إلى الحبشة

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو
فيه من العافية ، لمكانه من الله ، ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن
يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ما يكا
لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أتم فيه ؟ » .
فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض
الحبشة : مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم .
فكانت أول هجرة كانت في الإسلام .

النجاشي يرفض تسليمهم !

عن أم سلمة - زوج النبي صلى الله عليه وسلم - قالت : لما نزلنا أرض الحبشة ، جاورنا بها خير جار ، النجاشي ، آمناً على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه .

فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جليدين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة .

ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمر بن العاص ، فأمرهما بأمرهم . ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي ، فقبلها منهما ، ثم كلماه ، فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم ، وعشائهم ، لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عيناً ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبهم فيه .

ثم أرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم .

فلما جاءوا ... وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا أناجيهم حوله ... سألم فقال لهم : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا ديني ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ !

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له : أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأفئ الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ، ونعبده ، ونخلف ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف

عن الحسام والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .

— فعدد عليه أمور الإسلام — .

فصدقناه ، وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، ففدانا علينا قومنا فمذبونا وفتنونا عن ديننا ، نيردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلبا قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورجبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك .

يقال له النجاشي : هل مئيت مما جاء به عن الله من شيء ؟

فقال له جعفر : نعم .

يقال له النجاشي : فاقراه على .

فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) ، فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى اخضلوا أناجيلهم حين سمعوا ما تلا عليهم .

ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرجن من مشكاة واحدة ، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ...

فخرجنا من عنده مقبوحين ، مردوداً عليهما ما جاءوا به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار ... حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

اسلام عمر بن الخطاب

ولما قدم عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردهم النجاشي بما يكرهون ،

وأسلم عمر بن الخطاب ، امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجمزة .
وكان إسلام عمر أن أخته فاطمة بنت الخطاب - وكانت عند سعيد بن
زيد - وكانت قد أسلمت وأسلم بعلمها سعيد بن زيد ، وهما مستخفيان بإسلامهما
من عمر . وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن .
فخرج عمر يوماً متوشحاً بسيفه ، يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ورحطاً من أصحابه ، قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب
من أربعين من بين رجال ونساء .

ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر ،
وعلى ، في رجال من المسلمين ، ممن أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة .
فلقيه نعيم بن عبد الله - وكان أيضاً يستخفي بإسلامه - فقال له : أين
تريد يا عمر ؟

قال : أريد محمداً ... هذا الصائغ ، الذي فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها
وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فأقتله .

قال له نعيم : والله لقد غررتك نفسك من نفسك يا عمر ، أتري بني عبد
مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ؟! أفلا ترجع إلى أهل بيتك
فتقيم أمرهم ؟!
قال : ولأي أهل بيتي ؟

قال : ابن عمك سعيد بن زيد ، وأختك فاطمة بنت الخطاب . فقد والله
أسلما ، وتابعا محمداً على دينه ، فليك بهما !

فرجع عمر عامداً إلى أخته وزوجها ، وعندهما خباب معه صحيفة فيها
(حله ^(١)) يقرئهما إياها ، فلما سمعوا حساً عمر تفتت خباب في بعض البيت ،

وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذهما .
وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خبَاب عليهما ، فلما دخل قال :
أهذه المهينة التي سمعت ؟ !
قالا له : ما سمعت شيئاً .
قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ...
وبطش بزواج أخته سعيد بن زيد ، ققامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب
تسكفه عن زوجها ، فضربها فشجها .
فلما فعل ذلك قالت له أخته وزوجها : نعم لقد أسلمنا ، وآمنا بالله ورسوله ،
وما صنع ما بدا لك .
فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع ، فارعوى ، وقال لأخته :
أأعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون آتفاً ، أنظر ما هذا الذي جاء به محمد .
وكان عمر كاتباً .
فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نخشاك عليها .
قال : لا تخافي ، وحلف لها بألمته ليرُدَّنها إذا قرأها إليها .
فلما قال ذلك طمعت في إسلامه ، فقالت له : يا أخى ، إنك نجس على
شركك ، وإنه لا يمسيها إلا الطاهر .
فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة وفيها (طه) قرأها .
فلما قرأ منها صدرأ قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه !!
فلما سمع ذلك خبَّاب خرج إليه ، فقال له : يا عمر والله إني لأرجو أن يكون
الله قد خصك بدعوة نبيه ، فإنى سمعته أمس وهو يقول : « اللهم أيدِ الإسلام
بأبي الحكيم بن هشام أو بعمر بن الخطاب » فأنشأ الله يا عمر .
فقال له عند ذلك عمر : فدُلّني يا خبَّاب على محمد حتى آتيه فأسلم .
فقال له خبَّاب : هو في بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه .

فأخذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .
فضرب عليهم الباب .

فلما سمعوا صوته ، قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فنظر من خلل الباب ، فرآه متوشحاً بالسيف ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وهو فزعٌ ، فقال يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف .
قال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له ،
وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ائذّن له » فأذن له الرجل .
ونهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه بالحجرة ، فأخذ بمحجزته .
أو بمجمع رداءه ، ثم جبذه جبذة شديدة وقال : « ماجاء بك يا ابن الخطاب ،
فوالله ما أرى أن تلتحي حتى ينزل الله بك قارعة ؟ » .
قال عمر : يا رسول الله ، جئتك لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من
عند الله .

فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم !
فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم
حين أسلم عمر مع إسلام حمزة .
وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينتصفون بهما
من عدوهم .

قال عمر : لما أسلمت تلك الليلة تذكرت أن أهل مكة أشد لرسول الله صلى
الله عليه وسلم غداوة ، حتى آتية فأخبره أني قد أسلمت ، قلت أبو جهل ، فأقبلت
حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه ، فخرج إلى أبو جهل ، قال : مرحباً ،
وأهلاً يا ابن أختي ، ماجاء بك ؟ قلت : جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله .

محمد ، وصدقت بما جاء به ، فضرب الباب في وجهي ، وقال : قبحك الله ، وقبح ما جئت به .

مقاطعة بني هاشم وبني المطلب

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وفراراً ، وأن الجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحمزة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجعل الإسلام يفسو في القبائل اجتمعوا واثمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم ، وبني المطلب : على أن لا ينكحوا إليهم ، ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم .

فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم .

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم ، وبني المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه في شيعته ، فاجتمعوا إليه .

وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى إلى قريش ، فظاهروهم أي أعانهم .

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً ، حتى جهدوا ، لا يصل إليهم شيء إلا مسراً مستخفياً به من أراد صلته من قريش !

ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومه نيلاً ونهاراً ، ومسراً وجهاراً ، مبادياً بأمر الله ، لا يتقي فيه أحداً من الناس .

فجعلت قريش يهزونه ويستهزئون به ، ويخاصمونهم ، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداشهم ، فمنهم من سمي أنا ، ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار .

عودة المهاجرين

وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل أحد إلا بجوارٍ أو مستخفياً .

نقض الصحيفة

مشى هشام بن عمرو إلى زهير بن أبي أمية فقال : يا زهير ، أفقد رضىت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب ، وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ، لا يباعون ، ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ، ولا ينكح إليهم ؟ ١ . أما إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل مادعك إليه منهم ما أجبأك إليه أبداً .

قال : ويحك يا هشام !! . فإذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله أن لو كان معي رجل آخر لقت في نقضها حتى أنقضها .

قال : قد وجدت رجلاً .

قال : من هو ؟ .

قال : أنا .

قال له زهير : ابغنا رجلاً ثالثاً .

فلما تكامل الواقفون على نقض الصحيفة خمساً ، ذهبوا إلى البيت وأعلنوا نقضها .

قال أبو جهل : هذا أمر قضي بليلى تشوؤر فيه تغير هذا المكان .

الإسراء والمعراج

ثم أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد

الأقصى ، وهو بيت المقدس ، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش ، وفي القبائل كلها .

وكان في مسراه ، وما ذكر منه بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق ، وكان من أمر الله على يقين .

فأسرى به كيف شاء ، وكما شاء ، ليُريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ما عين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التي يصنع بها ما يريد .
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق - وهي دابة تضع حافرهما في منتهى طرفها - فجعل عليها ...

فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومضى جبريل عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ...

ولما فرغ من أمر بيت المقدس ، صعد إلى السماء .
ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس ، بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس ، ليرجع عليه إلى مكة .
فصعد من سماء إلى سماء حتى جاوز السابعة .

وكما جاء سماء تلقته منها مقربوها ، ومن فيها من أكابر الملائكة والأنبياء .
وذكروا أعيان من رآه من المرسلين ، كآدم في سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى في الثانية ، ويوسف في الثالثة ، وإدريس في الرابعة ، وهارون في الخامسة ، وموسى في السادسة ، وإبراهيم في السابعة .

ثم جاوز مراتبهم كلهم حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام .
ورفعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ، فإذا ورقها كآذان الفيلة ... وغشيها عند ذلك أمور عظيمة ، ألوان متعددة باهرة ، وغشيها من نور الرب جل جلاله .

ورأى هناك جبريل له ستانة جناح ما بين كل جناحين كما بين السحاب والأرض وهو الذى يقول الله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يفشى السدرة ما يفشى * ما زاغ البصر وما طغى) أى مازاغ يميناً ولا شمالاً ، ولا ارتفع عن المكان الذى حد له النظر إليه ، وهذا هو الثبات العظيم ، والأدب الكريم ، وهذه الرؤيا الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التى خلقه الله تعالى عليها .

وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى أمته الصلوات ليلتشد ، خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عز وجل ، حتى وضعها الرب جل جلاله إلى خمس ، وقال هى خمس وهى خمسون ، الحسنة بعشر أمثالها ، فحصل له التكليم من الرب عز وجل يلتشد . ثم هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ، والظاهر أن الأنبياء هبطوا معه تسكريماً له وتمظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلهية العظيمة . فلما حانت الصلاة أمّ صلى الله عليه وسلم الأنبياء ، فتقدمهم إماماً عن أمر جبريل .

ثم خرج منه فركب البراق ، وعاد إلى مكة !! فأصبح بها وهو فى غاية الثبات والسكينة والوقار ، وقد عاين فى تلك الليلة من الآيات والأمور التى لو رآها - أو بعضها - غيره لأصبح مندهشاً ، أو طائش العقل . ونكته صلى الله عليه وسلم أصبح واجماً - أى ساكناً - يخشى إن بدأ فأخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه .

فتلطف بإخبارهم أولاً بأنه جاء بيت المقدس فى تلك الليلة . وذلك أن أبا جهل - لعنه الله - رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الحرام ، وهو جالس واجم .

فقال له : هل من خبر ؟ !

فقال : نعم

فقال : وما هو ؟ !

فقال : إني أسرى في الليلة إلى بيت المقدس .

قال : إلى بيت المقدس ؟ !!

قال : نعم .

قال : أرايت إن دعوت قومك لك لتخبرهم أنخبرهم بما أخبرتنى به ؟ !

قال : نعم .

فأراد أبو جهل جمع فريش ليسمعوا منه ذلك ، وأراد رسول الله صلى الله

عليه وسلم جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم .

فقال أبو جهل : هيا معشر قريش وقد اجتمعوا من أنديةهم .

فقال : أخبر قومك بما أخبرتنى به .

فقص عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، وأنه جاء بيت

المقدس هذه الليلة وصلى فيه ! .

فمن بين مصفق ، وبين مصفر ، تكذيباً له ، واستبعاداً لخبره !!

الصديق

وطار الخبر بمكة ، وجاء الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه .

فأخبروه أن محمداً يقول كذا وكذا .

فقال : إنكم تكذبون عليه .

فقالوا : والله إنه ليقوله .

فقال : إن كان قاله فلقد صدق .

ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحوله مشركي قريش ، فسأله

عن ذلك فأخبره ، فاستعلمه عن صفات بيت المقدس ليسمع المشركون ويعلموا

صدقه فيما أخبرهم به .

وكان مما قال أبو بكر ، وقد أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا نبي الله ، أحدثت هؤلاء القوم أنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم .

قال : يا نبي الله ، فصفه لي فإني قد جئته .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لأبي بكر ، ويقول أبو بكر صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، كلما وصف له منه شيئاً قال : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، حتى انتهى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر « أنت يا أبا بكر الصديق » . فيومئذ سماه الصديق .

تطور الصلاة

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من صبيحة ليلة الإسراء ، جاءه جبرائيل عند الزوال ، فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فاجتمعوا وصلى به جبرائيل في ذلك اليوم إلى الغد ، والمسلمون يأتون بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يقتدى بجبرائيل .

وروى أن الصلاة كانت قبل الإسراء تكون ركعتين ، ثم لما فرضت الخمس ، فرضت حضراً على ما هي عليه ، ورخص في السفر أن يصلي ركعتين كما كان الأمر عليه قديماً .

وفاة خديجة وأبي طالب

ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد ، فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بموت خديجة ، وكانت له وزير صدقٍ على الإسلام ، يشكو إليها .

وبموت عمه أبي طالب ، وكان له عضداً ومنعة وناصرأ على قومه .
وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين .

قصة زواج عائشة

توفيت خديجة رضي الله عنها قبل مخرج النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ... فلبث سنتين ، وتزوج عائشة .

وكان دخوله بها في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة وقصة ذلك : لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت : يا رسول الله ألا تزوج ؟

قال : من ؟ .

قالت : إن شئت بكراً . وإن شئت ثيباً .

قال : فمن البكر ؟ .

قالت : أحب خلق الله إليك ، عائشة ابنة أبي بكر .

قال : ومن الثيب ؟ .

قالت : سودة بنت زمعة ، قد آمنت بك واتبعتك .

قال : فاذهبي ... فاذهبي .

فدخلت بيت أبي بكر فقالت : يا أم رومان ، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟ .

قالت : وما ذاك ؟

قالت : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة .

قالت : أنظري أبا بكر حتى يأتى .

فجاء أبو بكر ، فقالت يا أبا بكر ، ماذا أدخل الله عليكم من

الخير والبركة ؟ .

قال : وما ذاك ؟ .

قالت : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة .

قال : وهل تصلح له ؟ إنما هي ابنة أحميه ؟ .

فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له قال :
« ارجعي إليه فقولى له أنا أخوك ، وأنت أخي في الإسلام ، وإبنتك تصلح لي » .

فرجعت فذكرت ذلك له ، قال : انتظري وخرج .

قالت أم رومان : أن مطعم بن عدي قد ذكرها على ابنه ، والله ما وعد
أبو بكر وعداً قط فأخلفه .

فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي ، وعنده امرأته أم الصبي ، فقالت
يا ابن أبي قحافة ، لعلك مصبي صاحبنا تدخله في دينك الذي أنت عليه إن
تزوج إليك ؟ .

فقال أبو بكر لمطعم بن عدي : إنها تقول ذلك ؟ ! .

فخرج من عنده ، وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عدته التي وعده .

فرجع قتال لحولة : ادعى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدعته فزوجها إياه

قصة زواج سودة

ثم خرجت فدخات على سودة بنت زمعة فقالت : ما أدخل الله عليك من
الخير والبركة ؟ .

قالت : وما ذاك ؟ .

قالت : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك إليه .

قالت : ووددت ، ادخلي إلى أبي بكر فاذا كرى ذلك له .

فدخات عليه ، فحييته بتحية الجاهلية ، فقال : من هذه ؟ .

قالت : خولة بنت حكيم .

قال : فما شأنك ؟ .

قالت : أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة .

قال : كفو كريم .

قالت : ماذا تقول صاحبتك ؟ .

قال : تحب ذلك . . . ادعها إلى .

فدعتها ، قال : أي بنية : إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب

قد أرسل يخطبك ، وهو كفو كريم ؛ أتحبين أن أزوجه بك ؟ .

قالت : نعم .

قال : ادعيه لي .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها إياه .

زفاف عائشة

قالت عائشة تروي قصة زفافها : قدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيتنا ، واجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء فجاءتني أمي وأنا لني أرجوحة بين عذقين ، يرجح بي ، فأنزلتني من الأرجوحة ، ولي جيمة فقرقتها ، ومسحت وجهي بشيء من ماء ، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب ، وإني لأنهج حتى سكن من نفسي ، ثم دخلت بي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على سرير في بيتنا ، وعنده رجال ونساء من الأنصار ، فأجلستني في حجره ثم قالت : هؤلاء أهلك ، فبارك الله لك فيهم ، وبارك لهم فيك ، فوثب الرجال والنساء فخرجوا ، ودخل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا .

لماذا تزوج سودة ؟

وها هو ابن عباس يروي لنا أسباب زواجه صلى الله عليه وسلم من سودة

فيقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مصيبة ، كان لها خمس صبية — أوست — من بعلها مات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يمنعك مني ؟ » قالت : والله يا نبي الله ما يمنعني منك أن لاتكون أحب البرية إليّ ، ولكن أكرمك أن يمتنوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية . قال فهل منعك مني غير ذلك ؟ قالت : لا والله . قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمك الله ، إن خير نساء ركن عجائز الإبل ، صالح نساء قريش ، أحناء على ولد في صفره ، وارهاء على بعل بذات يده . وكان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة ، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة . وهذا يقتضي أن عقده على عائشة كان متقدماً على تزويجه بسودة بنت زمعة ، ولكن دخوله على سودة كان بمكة ، وأما دخوله على عائشة فمأخر إلى المدينة في السنة الثانية .

لا تبكي يا بنية ! ..

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً ! .

فلما نثر ذلك السفهاء على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التراب ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، قامت إليه إحدى بناته فجعلت تفسل عنه التراب وهي تبكي .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : « لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أبالك » .

حتى الطائف ... تؤذى رسول الله ! !

ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من

الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب .
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف
والمنعة بهم من قومه .

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عمد إلى نفر من
ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم .. وهم إخوة ثلاث .
فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم إلى الله ، وكلهم بما
جاءهم له من نصرتة على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه .
فقال له أحدهم : هو يمزق ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك .
وقال الآخر : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك ؟ !

وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً ، لأن كنت رسول من الله كما تقول .
لأنك أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولأن كنت تكذب على الله .
ما ينبغي لي أن أكلمك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد بش من خبر ثقيف ،
وقال لهم « إذ فعلتم ما فعلتم ، فاكنتموا غنى » وكره رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يبلغ قومه عنه فيحرقهم ذلك عليه .

فلم يفعلوا ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصبحون به حتى اجتمع
عليه الناس .

وقد له أهل الطائف صفيين على طريقه ، فلما مر جعلوا لا يرفع رجليه ،
ولا يضمهما إلا رضحوها بالحجارة حتى أدموه ، فخلص منهم وهما يسيلان الدماء ..
وألجأوه إلى بستان لعتبة وشيبة ابن ربيعة وهما فيه .

ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يقبعه ، فعمد إلى ظل عتبة فجلس فيه ..
وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان مالتى من سفهاء أهل الطائف .

فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم إليك أشكو ضعف

قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ،
وأنت ربى ، إلى من تكلفى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ؟ أم إلى عدو ملكته أمرى ؟
إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور
وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل
بى غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى^(١) حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة
إلا بك .

فلما رآه ابنا ريعة ، ومالتي ، تحركته رحمتها ، فدعوا غلاماً لها نصرانياً
يقال له عداس .

فقالا له : خذ عنقوداً من هذا العنب ، فضعه فى هذا الطبق ، ثم اذهب به
إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه .

ففعل عداس ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، ثم قال له : كل .

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده قال : بسم الله ،
ثم أكل .

فنظر عداس فى وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل
هذه البلاد .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ومن أهل أى البلاد أنت
يا عداس ؟ وما دينك ؟ » .

قال : نصرانى .. وأنا رجل من أهل نينوى .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرية الرجل الصالح يونس
ابن متى ؟ » .

فقال عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ .

(١) العتبى : الرضى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك أخى ، كان نبياً وأنا نبي » .
فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه .

الجن يستمعون !

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة ،
حين ينس من خير ثقيف .

حتى إذا كان بنخلة ، قام من جوف الليل يصلى ، فمر به نفر من الجن .
الذين ذكروهم الله تبارك وتعالى ، وهم سبعة نفر من جن أهل نصيبين فاستمعوا له .
فلما فرغ من صلاته وَلَّوْا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا .

فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل : (وَإِذْ صَرَفْنَا
إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ) إلى قوله : (وَيُخْرِجُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ)
وقال تبارك وتعالى : (قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ) إلى آخر القصة
من خبرهم من هذه السورة .

يعرض نفسه على القبائل !

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من
خلافه وفراق دينه ، إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به .
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم إذا كانت ،
على قبائل العرب : يدعوم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألم أن
يصدقوه ويمنعوه ، حتى يبين عن الله ما بعثه به .

وكان لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف ، إلا تصدى له
فدعاه إلى الله ، وعرض عليه ما عنده .

فما استجاب له من أحد !!

بيعة العقبة الأولى

فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً .
فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه ، فاجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام .
ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا .

وكانوا بيعة من الخزرج .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

حتى إذا كان العام المقبل ، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فللقوه بالعقبة ، فبايعوه : « أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفترية من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ، فإن وفيتم فلکم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمرکم إلى الله عز وجل : إن شاء غفر ، وإن شاء عذب » .

وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب .

فلما انصرف عنه صلى الله عليه وسلم القوم ، بعث معهم مصعب بن عمير ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين .

فكان يصلي بهم ، ذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمهم بعض ومضى مصعب يدعو الناس إلى الإسلام بالمدينة ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون .

وكان فيمن أسلم أسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ .

يومه العقبة الثانية الكبرى

وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة .

فواعلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق .

قال حكيم بن مالك : حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من خيامنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نليل نليل القطا ، مستنظفين ، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نساءنا .

قال : فاجتمعنا في الشعب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب ، وهو يؤمئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أسرا بن أخيه .

فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يا مشرا الخزرج ، إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، والحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه وما نعوه ممن خالفه فآتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده .

قال : قلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، نخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم » . فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال : نعم والذي بئسك بالحق لمنعتك مما

نمنع منه أضرارنا^(١)، فبايعنا يارسول الله ، فنحن والله أهل الحروب ...
فاعترض أبو الهيثم بن التيهان فقال : يارسول الله ، إن بيننا وبين الرجال
جبالا (يعنى اليهود) وإنا قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك
الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « بل الدّم الدّم ، والهدم
الهدم »^(٢) ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم ، وأسلم من سلمتم .
قال كعب : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخرجوا إلى منكم
اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم » .
فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا : تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس .
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنقباء : « أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء -
كقالة الخواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي » (يعنى المسلمين) ..
قالوا : نعم .

(١) نساء تا .

(٢) كانت العرب تقول عند عقد الحلف : « دى دمك وعدى هدمك » ،

الهجرة

كيف كانت الهجرة؟

فلما عنت قريش على الله عز وجل، وكذبوا نبيه صلى الله عليه وسلم، وعذبوا،
وحلفوا، من عبده ووجهه وصدق نبيه، أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله
عليه وسلم في القتال.

فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب : (أذن للذين يقاتلون
بأنهم ظلُّوا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بنبر حق إلا
أن يقولوا ربُّنا الله .) .

فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم في الحرب ، وتابعه هذا الحى من
« الأنصار على الإسلام والنصرة له ولن اتبعه وآوى إليهم من المسلمين ، أمر
برسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من
المسلمين ، بالخروج إلى المدينة ، والهجرة إليها ، والاحقوق بإخوانهم من الأنصار .
وقال : « إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا وداراً يأمنون بها » .
فخرجوا أرسالاً^(١) .

وأظم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج
من مكة والهجرة إلى المدينة .

واجتمع أشراف قريش ، وغيرهم ممن لا يُعَدُّ من قريش .
فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كلن من أمره ما قد رأيتم . فإننا
والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأياً .
فقال قاتل منهم : احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به الموت .
ثم قال قاتل منهم : نخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج
عنا فوالله ما نبألى أين ذهب ، ولا حيث وقع .

(١) طائفة بعد طائفة .

فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه لرأيا ، ما أراكم وقتم عليه بعد .
قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟

قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا فتى جليداً نسبيا وسيطا فينا ، ثم
نعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه ضربة رجل واحد
فيقتلوه ، فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً .

فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبث هذه الليلة على
فراشك الذي كنت تبيت عليه .

فلما كانت ظلمة من الليل ، اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام ،
فيثبون عليه .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب « نم
على فراشي ، وتسج ببردِي هذا الحضرمي الأخضر ، قم فيه فإنه لن يخلص
إليك شيء نكرهه منهم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك إذا نام .

فلما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام فقال وهم على بابه : إن محمداً يزعم
أنكم إن تابعتموه على أمره لكنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعتم بعد موتكم ،
ثم جعلت لكم نارا تحرقون فيها ! .

وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « نعم أنا أقول
ذلك ، أنت أحدُهم » ، وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه .

فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج أتى أبا بكر فخرجا من
خوخة لأبي بكر في ظهر يتيه .

ثم عدا إلى غارِ بشورِ جبَلِ بأسفل مكة ، فدخله .

واتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا .

فدخل أبو بكر رضى الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس الغار

لينظر أفيه سُبُع أو حية ؟ بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ! .
فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثا ومعه أبو بكر -
وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم .
حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس أتاها صاحبهما الذى استأجراه
بيعيريهما ، وبمير له .

فركبا ... وانطلقا ...

وأردف أبو بكر الصديق ، عامر بن فهيرة مولاة خلفه ، لينجدُمهما
فى الطريق .
وكانوا أربعة : رسول الله ... وأبو بكر ... وعامر ... وعبدالله بن
أرقط دليلهما .

فلما خرج بهما دليلهما سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل
حتى قدما المدينة لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ،
حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل .

وكان بين خروجه من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوما لأنه أقام بفار
ثور ثلاثة أيام .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك
بعد أن بعثه الله عز وجل بثلاث عشرة سنة ،
وكان الطريق الذى سلكوه غير الطريق المألوفة وأبعد منها .

وصوله إلى المدينة

ودوى عن رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما سمعنا
مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة انتظرنا قدومه . كنا نخرج إذا
صلينا الصبح إلى ظاهر حَرَّتْنا ننتظره ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على

الجبّال ، فإذا لم نجد ظلّا دخلنا ، وذلك في أيام حارة .
قالوا : حتى إذا كان اليوم الذي قدّوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه .
جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا .
وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أول من
راه رجل من اليهود .

فصرخ اليهودي بأعلى صوته : هذا جدكم قد جاء .
فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر .
رضي الله عنه في مثل سنه ، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل ذلك .

وازدحم عليه الناس وما يعرفونه من أبي بكر .
حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر فأظله .
بردائه ، فمرقناه عند ذلك ! .
وأقام على بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق
برسول الله صلى الله عليه وسلم .

بناء مسجد رسول الله

وبركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم على موضع لتلاميذ بني يمين من
بني النجار .
فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجداً ، ونزل على أبي
أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه .
فصل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين في العمل فيه ،
فعمل فيه المهاجرون والأنصار ، ودأبوا فيه .

ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبي أيوب .
وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق بمكة منهم
أحد إلا مفتون أو محبوس .

بدء التنظيم

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادع
فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم
« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، بين
المؤمنين والمسلمين ، من قریش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ،
إنهم أمة واحدة من دون الناس ... وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده
إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين
ماداموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين : لليهود دينهم
والمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ... » .

يؤاخي بين المهاجرين والأنصار

آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حين نزلوا المدينة لينهب
عنهم وحشة الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر
بعضهم ببعض .

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار .
قال : « نآخُوا فِي اللَّهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ » ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب
فقال : « هذا أخي » .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، الذي
ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين .

وكان حمزة بن عبد المطلب أسدُ الله ، وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين .
وتلك هي الأخوة الصادقة ، التي تزول فيها الحواجز والطبقات .

كيف كان الأذان ؟

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة إنما يجتمع الناس إليه للصلاة حين مواقيتها بغير دعوة .
فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها أن يجعل بوقا كبوق يهود الذي يدعون به لصلاتهم .
ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس ، فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة .

فبينما هم على ذلك إذ رأى عبد الله بن زيد النداء ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا رسول الله ، إنه طاف بي هذه الليلة طائف : مرّ بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده ، فقلت له : يا عبد الله ، أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قلت : ندعو به إلى الصلاة . قال أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت : وما هو ؟ قال : تقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله .

فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فآلقها عليه ، فليؤذن بها فإنه أندى صوتاً منك »
فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته ، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحمر رداءه وهو يقول : يا نبي الله ، والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى .

« فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فله الحمد ... » .

بدء عداوة اليهود وظهور النفاق

وَنَصَبَتْ عِنْدَ ذَلِكَ أَجْبَارَ يَهُودَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِدَاوَةَ بَغْيًا وَحَسَدًا ، لَمَّا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْعَرَبَ مِنْ أَخْذِهِ رَسُولَهُ مِنْهُمْ .

ومال إليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان بقي على جاهليته ، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث .

إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره ، واجتماع قومهم عليه .

فظهروا بالإسلام ، واتخذوه وقاية من القتل ، وناققوا في الشر ، وكان هوامهم مع يهود .

وكانت علماء اليهود هم الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعنّون ، ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل .

فكان القرآن ينزل فيهم وفيما يسألون عنه إلا قليلا من المسائل في الحلال والحرام ، كان المسلمون يسألون عنها .

إسلام عبد الله بن سلام

قال عبد الله بن سلام : لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نترقب له ، فكنت مسرّاً لذلك ، صامتاً عليه ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فنزل بقباء في بني عمرو بن عوف ، أقبل رجلٌ حتى أخبر بقدومه . وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها ، وعمتي خالدة ابنة الحرث تحتي جالسة ، فلما سمعت الخبر بتدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرتُ ، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيرى : خيبتك الله !! . والله لو كنت سمعت بموعى بن عمران قادمًا مازدت ! .

قال : قلت لها : أى عمه هو والله أخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ،
بعث بما بعث به .

قال : فقالت : أى ابن أخى ، أهو النبى الذى كننا نخبر أنه يبعث مع نفس
الساعة ؟ !

قلت لها : نعم .

فقلت : فذاك إذا .

ثم خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت . ثم رجعت إلى أهل
بيتي فأسرتهن فأسلموا .

قال : وكنتم إسلامى من يهود ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
قلت له : يا رسول الله ، إن يهود قوم بهت ، وإنى أحب أن تدخلنى فى بعض
بيوتك ، وتفيينى عنهم ، ثم تسألهم عنى حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا
إسلامى ، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني .

قال : فأدخلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض بيوته ، ودخلوا عليه
فكلموه وسألوه .

ثم قال لهم : أى رجل الحصين بن سلام فيكم ؟

قالوا : سيدنا وابن سيدنا ، وحبرنا ، وعالمنا .

قال : فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم ، قلت لهم : يا معشر يهود اتقوا
الله ، واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله ، تجدونه
مكتوباً عندكم فى التوراة باسمه وصفته ، فإنى أشهد أنه رسول الله وأؤمن به ،
وأصدق وأعرفه .

فقالوا : كذبت ، ثم وقعوا بى .

قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم
بهت ، أهل غدر وكذب وفجور ؟

قال: وأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحرث.
فحسن إسلامها .

* * *

وكما ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلما زاد غيظ
اليهود ، واشتد نفاق المنافقين ، حتى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً
أصحابه بإخراج المنافقين من مسجده ، فصاروا يسحبونهم ويلقون بهم
خارج المسجد .

وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث سرايا ويقوم بالغزوات ، في مجال
ضيق ، للاستطلاع والاستكشاف .

وكان صلى الله عليه وسلم ، يهدف من ذلك إلى تمرين أصحابه وإعدادهم
للقتال ، وإلى إرهاب أعداء الله وإشعارهم بمنعة أصحابه .

متى حولت القبلة ؟

صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة .

وحاصل الأمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة إلى
بيت المقدس والكعبة بين يديه ، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما
فصلى إلى بيت المقدس أول مقدمه إلى المدينة ، واستدبر الكعبة سبعة
عشر شهراً .

وكان عليه السلام يحب أن يصرف قبلته نحو الكعبة قبله إبراهيم ، وكان
يكثّر الدعاء والتضرع والابتهاال إلى الله عز وجل ، فكان مما يرفع يديه وطرفه
إلى السماء سائلاً ذلك .

فأنزل الله عز وجل : (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ، فَلْنُوَلِّينَكَ قِبَلَةً
نَرْضَاهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) الآية .

فلما نزل الأمر بتحويل القبلة ، خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ، وأعلمهم بذلك .

فرض رمضان وزكاة الفطر

وفي السنة الثانية من الهجرة كذلك فرض صيام رمضان .
وفي هذه السنة أمر الناس بزكاة الفطر .
وفيها صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العيد ، وخرج الناس إلى المصلى ، فكان أول صلاة عيد صلاها .

غَزْوَةُ بَدْرٍ الْعُظْمَى

كيف كانت الغزوة؟

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام ، في غير قريش ، وتجارة من تجاراتهم ، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون .

ونذب المسلمين إليهم وقال : « هذه غير قريش فيها أوالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله ينقذكُمها » .

فاتنذب الناس ، نخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً .

وكان أبو سفيان - حين دنا من الحجاز - يتحسّن الأخبار ، ويسأل من لقي من الركبان ، تخوفاً على أمر الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك .
فحذر عند ذلك .

فاستأجر ضمضم بن عمرو ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لنا في أصحابه .

فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة . . . وصرخ يبطن الوادي واقفاً على بعيره قد قطع أنف بعيره ، وحوّل رحله ، وشقّ قيصره وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة^(١) أموالكم مع أبي سفيان : قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الفوث الفوث .

فتجهز الناس سراعاً ، فكانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلاً .

وأوعبت قريش ، فلم يتخلف من أشرافها أحد : إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب قد تخلف وبعث مكانه العاصي بن هشام .

(١) اللطيمة : الإبل تحمل اللطيم .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليالٍ مضت من شهر رمضان في أصحابه .

خرج يوم الاثنين لثمان ليالٍ خلونَ من شهر رمضان .
واستعمل عمرو بن أم مكتوم على الصلاة بالناس .
ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، وكان أبيض .

وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان ، إحداهما مع
على بن أبي طالب يقال لها العقاب ، والأخرى مع بعض الأنصار .
وكانت إبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيراً ،
فتناوبوها . . .

وجعل على الساقة ، قيس بن أبي صَعَصَعَةَ .
وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ .
فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقه من المدينة إلى مكة ، فلما كان
على واد يقال له ذِفْرَان نزل .
وأناه الخبر عن قريش بمسيرهم لينعوا غيرهم .

يستشير أصحابه

فاسقشار الناس ، وأخبرهم عن قريش .
فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن .
ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن .
ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امضِ لما أراك الله فنحن
معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (فاذهب أنت وربك
فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .

فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْكِ^(١) الْغِيَارِ لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ
حتى تبلغه .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعاه به .
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَشِيرُوا عَلَى أَيِّهَا النَّاسُ » ...
وإِنَّمَا يَرِيدُ الْأَنْصَارَ .
فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ : والله
لَكَأَنْتَ تَرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ .
قال : أَجَلُ .

قال : فقد آمنا بك ، وصَدَقْنَاكَ ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ،
وأعطيناك على ذلك عهدنا وموآثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله
كما أردت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر
نفخسته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا
غداً ، إنا لصُبْرٌ في الحرب ، صُدُقٌ في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقرُّ به
عينك ، فسر بنا على بركة الله .

فسرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشطه ذلك .

سِيرُوا وَأَبْشُرُوا ... :

ثم قال : « سِيرُوا ، وَأَبْشُرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ،
وَاللَّهُ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظَرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ » .
مم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذَفِرَانَ ، ثم نزل قريشاً من
بدر ، فركب هو ورجل من أصحابه هو أبو بكر الصديق ، يسأل عن أخبار
قريش .

(١) موضع بناحية اليمن .

فلما أمسى بعث عليّ بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر يلتصون الخبر ، فأصابوا غلامين لقريش فأتوا بهما .

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَمْ الْقَوْمُ ؟ » .
قالا : كثير .

قال : « ماعدتُهم ؟ » .
قالا : لاندري .

قال : « كم ينحرون كل يوم ؟ » .
قالا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القومُ فيما بين القسمائة والألف » .
وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العير حذراً ، حتى ورد الماء .
فرجع إلى أصحابه سريعاً فضرب وجه غيره عن الطريق ، وأخذ بها جهة الساحل ، وترك بدرأً يسار ، وانطلق حتى أصرع .
ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز غيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله فارجعوا .
فقال أبو جهل بن هشام : والله لا ترجع حتى نردّ بدرأً ، فنقيم عليه ثلاثاً ، فننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، ويسمع بنا العرب وبمبيرانا وجمعنا ، فلا يرالون يهابوننا أبداً بعدها ، فامضوا .

ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي .
وبعث الله السماء ، وكان الوادي ليناً لم يبلغ أن يكون رملاً .
فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ماء لبّد لهم الأرض .
وجعل ترابها لا يشور ، ومهل لهم السير فيه ، ولم يمنعمهم من السير .
وأصلب قريشاً منها ماء لم يقدرُوا على أن يرتحلوا معه .

ينزل على رأى الحجاب!

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به .

قال الحجاب بن المنذر : يا رسول الله ، أرايت هذا المنزل أمزلاً أتزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ .
قال : « بل هو الرأى والحرب والمكيدة » .

قال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله . ثم نفسد ماوراءه من الآبار (بأن يذفوا فيه أحجاراً وتراباً فيفسدوها على أعدائهم) ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء .
ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أشرت بالرأى » .
فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس ، فسار ، حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالآبار فأفسدت ، وبني حوضاً على البئر الذى نزل عليه ، فملئ ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

بناء العريش

وقال سعد بن معاذ رضى الله عنه : يا نبي الله ، ألا نبني لك عريشاً نكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ماأحببنا . وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلهجت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله مانحن بأشد لك حُباً منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ماتخلفوا عنك ، يمنحك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك .

فأننى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعاه بخير .

ثم بُنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشٌ... فكان فيه .
وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ... » .
فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة رجل جعلوا يتكلمون في الرجوع .

فقام عتبة بن ربيعة خطيباً فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه ، وابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ...

فقال أبو جهل : كلاً ! . والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ! .

بدء المعركة

وخرج الأسود بن الأسود قائلاً : أعاهد الله لأشربنَّ من حوضهم ، أو لأهدمَنَّهُ ، أو لأموتنَّ دونه .

فلما خرج ، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، فلما التقيا ضربه حمزة فأطار قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض :
فوقع على ظهره تشخُّبُ رجله دماً ، نحو أصحابه .
ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبرَّ يمينه .
واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

المبارزة

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة ، بين أخيه شيبة بن ربيعة ، وابنه الوليد ابن عتبة .

حتى إذا خرج من الصف دعا إلى المبارزة .

فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة .

قالوا : من أنتم ؟ .

قالوا : رهط من الأنصار .

قالوا : مالنا بكم من حاجة .

ثم نادى مناديتهم : يا محمد ... أخرج إلينا أ كُفَاءنا من قومنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قُمْ يا عبدةُ بن الحرث ، قم يا حمزة ،

قُمْ يا عليّ » .

فلما قاموا ودنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ .

قال عبدة : عبدة .

وقال حمزة : حمزة .

وقال عليّ : عليّ .

قالوا : نعم ... أ كُفَاء كرام .

فبارز عبدة - وكان أسن القوم - عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة

وبارز عليّ الوليد بن عتبة .

فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله .

وأما عليّ فلم يمهل الوليد أن قتله .

واختلف عبدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه .

وكر حمزة وعليّ بأسيا فهما على عتبة فأجهزا ، عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه

إلى أصحابه .

ثم تراخف الناس ، ودنا بعضهم من بعض .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، معه أبو بكر الصديق

رضي الله عنه .

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سَبْعَ عشرة من شهر رمضان .
ثم عدّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ، ورجع إلى العريش ،
فدخله ومعه فيه أبو بكر، ليس معه فيه غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينشد
ربه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم
لا تُمبَدُ » .
وأبو بكر يقول : « يانبي الله ، بعض مناشدتك ربك ، فإن الله مُنجز لك .
ما وعدهك .

أول قتيل من المسلمين

وقد رُمي مِهْجَعٌ - مولى عمر بن الخطاب - بسهم قُتِلَ .
فكان أول قتيل من المسلمين .
ثم رمى حارثة بن سراقة - وهو يشرب من الخوض - بسهم قُتِلَ .

النبي يحرض أصحابه على القتال

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرضهم ، وقال :
« والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتلُ صابراً محسباً ، مقبلاً
غير مُدبر ، إلا أدخله الله الجنة » .
ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصاء ، فاستقبل بها
قريشاً ، ثم قال : « شامتِ الوجوه » ثم رماهم بها .
وأخر أصحابه فقال : « شدوا » .
فكانت الهزيمة .

فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم .
وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر « أحدٌ أحدٌ » .
وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا في البئر ،
فطرحوا فيه .

ووقف عليهم فقال : « يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ »
فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً ؟ » .

فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتكلم قوماً موتى ؟ !
فقال : « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق » .

ذبول المعركة

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بما في المعسكر مما جمع الناس ، فجمع ،
فاختلف المسلمون فيه .

فقال من جمعه : هو لنا .

وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه : والله لولا نحن ما أصدتموه .

وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله ما أئتم
بأحق به منا .

فنزعه الله من أيديهم جميعاً ، وجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين على السواء .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الفتح عبد الله بن رَوَاحَةَ بشيراً
إلى أهل العالية ، بما فتح الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى
المسلمين .

وبعث زَيْدَ بن حارثة إلى أهل السَّافَةِ .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ، ومعه الأسارى
من المشركين .

واحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الغنائم التي أصيبت من
المشركين .

ثم قسمه صلى الله عليه وسلم وهو في الطريق على المسلمين على السواء .

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون
يهنئون به بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه
وقال : « استَوْصُوا بِالْأَسَارَى خَيْرًا » .

وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحِمْيَرُ بن عبد الله ، فقالوا :
ما وراءك ؟ .

قال : قُتِلَ عُتْبَةُ ، وشَيْبَةُ ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمِّيَّة بن خلف . . .
وجعل يعدد أشراف قريش .

ومالبث أبو لهب أن مات بعد سبع ليال من إذاعة خبر هزيمة قريش
المنكرة ! .

قالوا : وناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لانفعلوا فيبلغ محمد وأصحابه
فيشمتوا بهم ، ولا تبعثوا في أسراكم عاجلا ، حتى لا يشتد عليكم محمد وأصحابه
في الفداء .

ثم بعثت قريش في فداء الأسارى .

وكان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل ، إلى ألف درهم ، إلا
من لاشيء له ، فمن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه .

نزول سورة الأنفال

فلما انقضى أمر بدر أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها .

وكان عدد من شهد بدرًا من المسلمين من المهاجرين والأنصار ثلاثمائة رجل
وأربعة عشر رجلا . . من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلا ، ومن الأوس واحد
وستون رجلا ، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا .

واستشهد من المسلمين يوم بدر أربعة عشر .

لما قتل المشركين فكانوا سبعين رجلاً ، والأمرى كذلك .
وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر في عقب شهر رمضان .

* * *

تلك هي معركة بدر الكبرى .
تلك للمركة التي سماها الله « يوم الفرقان . يوم التقى الجمعان » .
ولقد كان كذلك حقاً وصدقاً .
فهو يوم الفرقان لأنها فرقت بين الحق المستضعف والباطل المتغطرس .
فأعزت الحق ، وأذلت الباطل .

ودوى صوت بدر عالياً في الآفاق ... دوى في أنحاء جزيرة العرب ، وتسامع
بها العرب أينما كانوا .

وكان يزيد من دويها ، تلك الأشعار التي جعل أبناء مكة يطلقونها في الجزيرة
وينوحون بها على قتلاهم ، وتلك الأشعار الأخرى التي جعل بعض أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلقونها كذلك ، ، اعتزازاً بفضل الله عليهم
يوم بدر .

ولقد تجاوز ذلك الدوى بطاح مكة وأرجاء الجزيرة العربية إلى الحبشة
بلد النجاشي ، حيث يقيم عنده بعض من هاجر إليه فاراً بدينه ينتظر نصر الله .
قالوا : أرسل النجاشي ذات يوم إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، فدخلوا
عليه فقال النجاشي : إني أبشركم بما مركم إنه جاءني من نحو أرضكم عين لي ،
فأخبرني أن الله قد نصر نبيكم ، وأهلك عدوه ، وأسر فلان وفلان ، وقتل
فلان وفلان .

أي فرحة تلك التي دخلت آتتذ إلى قلب جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين
أنبأهم النجاشي الخبر ؟!

وأي سعادة تموج في قلوبهم موجاً ، حين علموا أن الله قد صدقهم وعده
وأعز رسوله ومن معه من المؤمنين ؟ !

لقد دوت بدر في الأرض دويًا عاليًا شامخًا ، لأنها نصر الله .

كما دوت في السماء دويًا عظيمًا ، لأنها إرادة الله .

وكيف لا وقد كان جملة من شهد بدرًا من المسلمين ثلثمائة وأربعة عشر رجلاً منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بينما كان المشركون تسعمائة وخمسين رجلاً ورغم تفاوت الأسلحة ، وأن المسلمين خرجوا لا يريدون قتالاً ، بينما خرج المشركون يريدون قتالاً ونفراً ، رغم هذا كله كبت الكافرون وانتصر المسلمون !!

وكان الأعجب من ذلك أن الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً بينما قتل من المشركين سبعون وأسر سبعون !! .

بل وأعجب من هذا كله أن ما كان مع المسلمين من الخيل هو فرسان ليس إلا !! .

لقد كانت فتحاً ، وكانت نصراً ، وكانت فاصلاً بين عهد الذلة وعهد العزة في الإسلام .

فهل هدأ صلى الله عليه وسلم ، بعد رجوعه من بدر ، وركن إلى الراحة ؟

غزوة بني سليم

كلا ... فإنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يقم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم .

واستعقل على المدينة ابن أم مكتوم الأعشى ...

فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر ، فأقام عليه ثلاث ليال .
ثم رجع إلى المدينة ، ولم يبق كيداً .

فأقام بها بقية شوال وذا القعدة ، وفادى في إقامته تلك جل الأسارى من قرين .

غزوة السويق

وكان أبو سفيان - حين رجع إلى مكة - ورجعت فلول قريش من بدر نذر أن مايمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً !!! .
فخرج في مائتي راكب من قريش ، لتبر يمينه ، فسلك حتى كان قريباً من المدينة ، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل ، فأتى حيي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه .
فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم ، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك .
فاستأذن عليه ، فأذن له وأطعمه وسقاه . وأخبره من خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ثم خرج في عقب ليلته ، حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً من قريش ، فأتوا ناحية منها يقال لها العريض . فحرقوا في نخلها ، ووجدوا رجالاً من الأنصار ، وحليفاً له في زرع لها ، فقتلوهما ، وانصرفوا راجعين .
كأنه قد وقي بنذره ! .
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم . ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه .
ووجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواداً كثيرة ، قد ألقاه المشركون ، يتخفون منها ، وعامتها سويق ، فسميت غزوة السويق .
قال المسلمون : يا رسول الله أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة ؟ .
قال : « نعم » .

غزوة ذي أمر

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق ، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة ، أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً ، يريد غطفان ، وهي غزوة ذي أمر .

فأقام بنجدٍ صفرًا كله ، أو قريبًا من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا ، فلبث بها بقية شهر ربيع الأول كله ، إلا قليلا منه .

غزوة الفرع من بحران

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قريشًا ، حتى بلغ بَحْرانَ معدِنًا بالحجاز من ناحية الفرع ، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا .

حصار بنى قينقاع

كان من حديث بنى قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق قينقاع ثم قال : « يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة ، وأسلموا ، فإنكم قد عرقتُم أن نبي مُرسَلٌ ، تعبدون ذلك في كتابكم وَعَهْدِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ » .

قالوا : يا محمد ، إنك تُرى أننا قومك ، لا يفرُّنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم قرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمنَّ أننا نحن الناس . وكان من قصة بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت ببضاعة لها . فباعته بسوق بنى قينقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت .

فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها ، فعمده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله . وكان يهوديًا .

فشدت اليهود على المسلم فقتلوه .

فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع .

فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه .

وكانت محاصرته إيام خمس عشرة ليلة .

سرية زيد بن حارثة

وكان من حديثها أن قريشاً خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام .
- حين كان من وقعة بدر ما كان - فسلكوا طريق العراق .
نخرج منهم تجارٌ فيهم أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضة كثيرة .
وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، فلقينهم فأصاب تلك
العير وما فيها ، وأعجزه الرجال .
فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مصرع كعب بن الأشرف اليهودي

وكان من قصته .. أنه لما أصيب أصحاب بدر ، وقدم زيد بن حارثة
وعبد الله بن رواحة يبشران أهل المدينة بالنصر . قال كعب : أحق هذا ؟
أتروُن محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان ؟ ! هؤلاء أشراف العرب
وملوك الناس . والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير
من ظهرها .

فلما تبين عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة .
وجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينشد الأشعار ،
وبكى أصحاب القليب من قريش .
ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فتغزل في نساء المسلمين وذوكرهن
في أشعاره حتى آذاهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لِي بِابْنِ الْأَشْرَفِ ؟ » .
فخرج له جماعة من المسلمين وقتلوه ليلاً .
وأصبحت المدينة وليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه .

غزوة أحد

لماذا كانت المهركة؟

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ، ورجع المنهزمون .
منهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بغيره .

مشى رجال من قريش ممن أصيب آبائهم وإخوانهم يوم بدر .

فكلموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له في تلك العير من قريش
تجارة ، قالوا : يا معشر قريش ، إن محمداً قد جعل لكم عنده ثأراً ، وقتل
خيالكم ، فأعينونا بهذا المال على حرب ، فعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب
منا ، ففعلوا .

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحاب العير
بأحاديثها ، وون أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة .

ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له وحشيٌ يقذف بحربة له قذف
الحبشة ، فلما يخطئ بها فقال له : أخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم
محمد . . . فأنت عتيق .

فخرجت قريش بمحمداً وجدّها وحديدها وأحاديثها ، ومن تابعها من بني
كنانة وأهل تهامة .

وخرجوا معهم بالنساء التماس الأنفة والفضب ، وأن لا يفروا .

فخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس ، بهند ابنة عتبة .
وكانت هند كلما مرّت بوحشي أو مر بها قالت : وينها أبا دسمه ،
اشف واشتف .

فأقبلوا حتى نزلوا مقابل المدينة .

يستشير الشعب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقْلَمٍ وَإِنْ هُمْ دَخَلُوهَا عَلَيْنَا قَاتِلْنَاهُمْ فِيهَا » .
وكان رأى عبد الله بن أبي بن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكره الخروج .

وينزل على رأى الشعب !

فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته فلبس درعه ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة .

فما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ؟ فَإِنْ شِئْتَ فَاقْعِدْ صِلَى اللَّهِ عَلَيْكَ .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ إِذَا لَبِسَ لَأَمَتَهُ ^(١) أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَقَاتِلَ » .

الخروج للمعركة

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه .
حتى إِذَا كَانُوا بِالشَّوْطِ - بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأَحُدَ - انْخَزَلَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنِ سُلُولٍ بِثُلُثِ النَّاسِ .

وقال : أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي ، مَا نَدْرِي عَلَامَ تَقْتُلُ أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ ؟
ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نَزَلَ الشَّعْبُ مِنْ أَحُدَ فِي عَدْوَةٍ الْوَادِي إِلَى الْجَبَلِ ، فَجَعَلَ ظَهْرَهُ وَعَسْكَرَهُ إِلَى أَحُدَ .
وتعَبَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال ، وهو في سبعمائة رجل . وأَمَرَ

(١) لَأَمَتُهُ : درعه .

على الرماة عبد الله بن جبّير ، وهو معلم يومئذ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلا ، فقال : انضح^(١) الخيلَ عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فائتُ مَكَانَكَ ، لأنْزُتَيْنِ من قبلك .

وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فرس قد قادوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل .

اللقاء ...

فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذت الدفوف يَضْرِبْنَ بها خلف الرجل ، يُحَرِّضْنَهُمْ ، وقالت هند فيما تقول :

وَيْهَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، وَيهَا حُمَاةَ الْأَدْبَارِ ، ضَرْبًا بِكُلِّ مَقَّارٍ .

وتقول :

إِنْ تَقْبَلُوا نَعَانِقَ وَنَفَرِشُ النَّارِقِ^(٢)

أَوْ تُدْبِرُوا نَفَارِقَ فِرَاقِ غَيْرِ وَامِقِ^(٣)

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد « أَمِيتْ »

أَمِيتْ .

فاقتتل الناس حتى حيت الحرب .

مصرع حمزة !

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أبطالا .

قال وحشي : والله إني لأنظر إلى حمزة يَهْدُ الناس بسيفه وهرزبت

حربتي ، حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت في ثُغْرَتِهِ ، حتى خرجت

(١) انضح : ادفعهم عنا .

(٢) الناعق جمع نمرقة ، ومن الوسادة الصغيرة .

(٣) الوامق : احب .

من بين رجليه ، فأقبل نحوي ، فغلب فوقه ، وأمهلت حتى إذا مات ، جثت ،
فأخذت حربتي ثم تنحيتُ إلى العسكر ، ولم يكن لي شيء حاجة غيره .
فلما قُتل مُصَنَّبُ بن عُمَيْرٍ أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء على-
ابن أبي طالب .

ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده ، فقتلهم بالسيوف ، حتى
كشفهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لاشك فيها .
فلما رأى رماة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن قد انكشف القوم ،
وانهزموا ، وأن المسلمين عكفوا على الفنائم ، تركوا أماكنهم ، وخلصوا ظهور
المسلمين للخييل ، فأتوا من خلفهم ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قتل .
فرجع المسلمون ، ورجع عليهم المشركون .

وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، وكان يوم بلاء وتمحيص .
خلَّصَ العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بالحجارة ، حتى وقع
لشقه ، فأصابت رباعيته ، وشجَّ في وجهه ، وجرحت شفته ، وجعل الدم يسيل
على وجهه ، وجعل يمسح الدم ، وهو يقول : « كيف يُفْلِح قوم خضبوا وجه
نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ » .

• فأنزل الله عز وجل في ذلك « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم
أو يعذبهم فإنيهم ظالمون » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين غشيه القوم - : « من رجل
يشري لنا نفسه ؟ » .

فقام خمسة من الأنصار ، فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجلاً
ثم رجلاً .. يقتلون دونه .

ثم رجعت فئة من المسلمين ، فأزالوهم عنه .

المرأة تقاتل دون رسول الله !

قالت أمُّ مُصَلِّمة : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء .

فاتهمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه ، والغلبة والنصر للمسلمين .

فلما انهزم المسلمون ، انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فقت أباشر القتال ، وأذُبُّ عنه بالسيف ، وأرْمِي عن القوس ، حتى خلعت الجراح إلى .

قالت : لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقبل رجل يقول :
«دُلُونِي عَلَى مُحَمَّد ، فَلَا نَجُوتَ إِنْ نَجَا .

فاعترَضْتُ له أنا ، ومُصْعَبُ بْنُ عَمِير ، وأنسُ مِمَّنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فضربنى هذه الضربة (كان على عاتقها جرح أجوف له غور) ، فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كانت عليه دِرْعَان .

أروع أمثلة الفدائية

وترَّسَ دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه ، يقع النبل فى ظهره ، وهو مُنْحَنٍ عليه حتى كَثُرَ فيه النبل .

ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وكلن رسول الله صلى الله عليه وسلم يناوله النبل ، وهو يقول : « ارمِ فداك أبى وأمى » .

ماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ !

واتمى أنس بن النَّفَرِ إلى عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، فى رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم فقال : ما يجلسكم ؟ .

قالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ .. فموتوا على مامات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل .
عن أنس بن مالك قال : لقد وجدنا أنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فاعرفه إلا أخته ، عرفته بيناته !! .

هذا رسول الله

وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة ، وقول الناس قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك .
قال كعب : عرّفت عيني الشريفتين تزهران^(١) من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن « أنصت » .
فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشعب : معه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، رضوان الله عليهم ، ورهط من المسلمين ..
أين محمد ؟

فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف ، وهو يقول : أين محمد ؟ لانجوت إن نجوت .
فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دَعُوهُ » .
فلما دنا منه ، تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الخربة ، ثم استقبله فظمنه في عنقه طعنة مال منها عن فرسه مراراً .

(١) تضيئان .

فمات عدو الله بسرف ، وهم قافلون به إلى مكة .
 فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب معه أولئك النفر من أصحابه
 إذ علت عالية من قريش الجبل .
 كان على تلك الخيل خالد بن الوليد .
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا » .
 فقاتل عمر بن الخطاب ، ورهط معه من المهاجرين ، حتى أهبطوهم
 من الجبل .
 وصلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر يوم أحد قاعداً ، من الجراح التي
 أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً .

هند تمثل بحمزة !

ووقعت هند بنت عتبة ، والنسوة اللاتي معها ، يُمثلن بالقتلى من أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقطعن الآذان والأنف ، حتى اتخذت هند من
 آذان الرجال وأنفهم خلاخيل وقلائد ! .
 وأعطت هند خلاخيلها ، وقلائدها ، وقِرَطَها وحشياً - قاتل حمزة -
 وشقت عن كبد حمزة فمضعتها ، فلم تستطع أن تبلمها ، فلفظتها !! .
 ثم علت على صخرة مُشرقة فصرخت بأعلى صوتها ، فقالت :
 شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي شَفَيْتُ وَحْشِي غَلِيلَ صَدْرِي
 فَشُكِرْتُ وَحْشِي عَلَى مُعْمَرِي حَتَّى تَرِمَ (١) أَعْظَمِي فِي قَبْرِي
 انتهاء المعركة

وانصرف أبو سفيان ومن معه ونابذ : إن موعدكم بدر للعام القابل .-

(١) ترم : تنفنت .

قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : « قل نعم ... هو
يبننا وبينك موعد » .

لن أصاب بمثلك أبداً ..

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يلتمس حمزة بن عبدالمطلب ، فوجده
ببطن الوادي قد يقرّ بطنه عن كبده ومثل به فقطع أنفه وأذناه .

ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة قال : « لن أصاب
بمثلك أبداً ، ماوقفت مَوْقِعاً قَطُّ أُغِيظُ إِلَى من هذا » .

ادفنوهم حيث صرعو

وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، فدفنوهم بها .
ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال : « ادفنوهم حيث
صُرِعُوا » .

وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد ! .

فما فعل رسول الله ؟

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة .
ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار ، وقد أصيب
زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد .
فلما نَعُوا لها قالت : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .
قالوا : خيراً يا أمّ فلان ، هو بحمد الله كما تحبين .
قالت : أرونيه حتى أنظر إليه .

فأشهر لها إليه ... حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك صغيرة ! .
لم تفكر في قتلاها ، وإنما فكرت في صاحب الرسالة !! .
وهكذا كانوا ... ومن هنا خلدوا في الأرض ، وخلدوا في السماء .

إرهاب العدو

وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال ، من السنة الثالثة
من الهجرة .

فلما كان الغد من يوم الأحد ، أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الناس يطلب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يخرج من معنا أحد إلا حضر
يومنا بالأمس .

وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُرْهَبًا للعدو ، وليبلغهم أنه خرج
في طلبهم ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد ،
وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع
إلى المدينة .

هذا وجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المهاجرين والأنصار في غزوة أحد ، سبعون رجلاً .
وجميع من قُتل يوم أحد من المشركين اثنان وعشرون رجلاً .

غزوة الجندق

يوم الرجيع

ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أُحُدٍ رَهْطٌ ، فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فابْعَثْ معنا نَفْراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرؤننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ستة من أصحابه .
فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع - ماء لهذيل بناحية الحجاز - غدّروا بهم .

ثم قالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا تقتلكم .
ثم قتلوا بعضهم بالطريق ، واحتملوا الباقي إلى مكة أسارى .
فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة .
فابتاع حُبَيْبًا حُجَيْرُ بْنُ أَبِي إِمَابٍ .

وأما زيد بن الدثينة فابتاعه صفوان بن أمية ليقته بأبيه أمية بن خلف .
وبعث به صفوان بن أمية مع مولى يقال له : نَسْطَاسٌ ، إلى التنعيم ، وأخرجوه من الحرم ليقته .

واجتمع رهط من قريش منهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقته : أُنْشِدُكَ الله يا زيد ، أُنْجِبْ أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه ، وأنت في أهلك ؟ .

قال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وأنا جالس في أهلي .

قال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً ، كحب أصحاب

محمد محمداً !!

ثم قتله نسطاس ..

وأما خُيِّبُ ، فحين خرجوا به إلى التَّعْنِيمِ ليصلبوه قال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا .

قالوا : هو نك فاركع .

فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لو لا أن تظنوا أني إنما طوَّلتُ جزءاً من القتل لاستكثرت من الصلاة .

فكان خييب أول من سنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين .

ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا .

ثم قال : اللهم أحصِهِم عدداً ، واقْتُلِهِم بدداً^(١) ، ولا تغادر منهم أحداً .
ثم قتلوه ...

وهكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ... حب للرسول ...
وحب لدينهم ... وشهادة تتبعها شهادة في سبيل الله .

ولم تقف التضحية في سبيل الدعوة عند هذا الحد ، ولكن هناك ما هو أكبر من قتل أولئك الستة ؟ !

مصرع أربعين آخرين !

قدم أبو براء عامر بن مالك ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقال : يا محمد ، لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ؟ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني أخشى عليهم أهل نجد » .
قال أبو براء : أنا لهم جارٌّ ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عروة في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين .

(١) بددا : فرقا .

خساروا حتى نزلوا يثر معونة .

فلما نزلوها بعثوا أحدهم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله
عامر بن الطفيل .

فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى هجم على الرجل قتلته .

ثم استصرخ عليهم قبائل من عَصِيَّة ، وَرِغْلٍ ، وَذَكْوَلٍ ، فخرجوا
حتى أحاطوا القوم .

فلما رأوهم أخذوا سُيُوفَهم ، ثم قاتلهم ، حتى قتلوا عن آخرهم .

وذهب الأربعون ... شهداء في سبيل الدعوة !

ومحاولة لاغتيال رسول الله !

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير ، يستعينهم في دية
قتيلين من بني عامر .

فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذينك القَتِيلَيْن ،
قالوا : نعم ، يا أبا القاسم ، نعمينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه .

ثم خلا بعضهم ببعض .

فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدارٍ من بيوتهم قاعد .

قالوا : فبن رجُلٍ يملو على هذا البيت ، فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ؟

فاتدب لذلك عمرو بن جَحَّاش ، فقال : أنا لذلك .

فصعد ليلقى عليه صخرة ...

ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر

وعلى ، رضوان الله عليهم .

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء ، بما أراد القوم ،

فهم ، وخرج راجعاً إلى المدينة .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيب ل حرب اليهود والسير إليهم .
واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .
ثم سار بالناس حتى نزل بهم ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة أربع
من الهجرة .
فحاصروهم فيها ست ليال .
ونزل تحريم الخمر ...

اجلاء يهود بني النضير

فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل
والتحريق فيها .

فنادَوْهُ : يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعييه على من صنعه ؟ . فما بال
قطع النخيل وتحريقها ؟ !

وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج - منهم عدو الله عبد الله بن أبي
ابن سلول - قد بعثوا إلى بني النضير : أن اثبتوا وتمنعوا فإننا لن نسلّمكم ،
إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم .
فتربصوا ذلك من نصرهم ... فلم يفعلوا .

وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يُجلبهم ، ويسكف ، عن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم
إلا السلاح .
ففعل ...

فاحتلوا من أموالهم ما استقلّت به الإبل
فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام
خرجوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الذخوف والمزامير والجواري
يمزقن خلفهم !

وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، يضعها حيث يشاء .
فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار .
ونزل في بني النضير سورة الحشر بأمرها .

غزوة ذات الرقاع

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى .
ثم غزا نجداً وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع لأنهم رقعوا فيها راياتهم .

حتى نزل نخلا - موضع بنجد من أرض غطفان - فلقى بها جمعاً عظيماً من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ، ثم انصرف بالناس .

ألا أقتل لكم محمداً؟

ثم إن رجلاً من بني محارب يقال له : غَوْرَث . . . قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ .
قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ .
قال : أفتك به .

فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ، وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره .
فقال : يا محمد . . انظر إلى سيفك هذا ؟
قال : نعم . . وكان مُحَلَّى بفضة .

فأخذه فاستلّه ، ثم جعل يهزّه ، ويهمهم فيسكته الله .

ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟

قال : « لا ، وما أخافُ مِنْكَ ؟ » .

قال : أما تخافني ، وفي يدي السيف ؟

قال : « لا ، يَمْنَعُنِي اللهُ مِنْكَ »

ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّه عليه ! .

غزوة بدر الآخرة

ثم خرج في شعبان إلى بدر ، سنة أربع من الهجرة ، لميعاد أبي سفيان ، حتى نزله .

فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان .

وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى بلغ عُسْفان ، ثم بدّاه في الرجوع ، فرجع الناس .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده .

ولكن أبا سفيان آثر العودة إلى مكة ! .

غزوة دومة الجندل

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل .

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيدا .

غزوة الخندق

ثم كانت غزوة الخندق ، في شوال ، سنة خمس من الهجرة .

وكان من حديثها أن نفرا من اليهود ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ،

فدعّوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون

معكم عليه حتى نستأصله .

قالت لهم قريش : يامعشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول ، والمسلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ .

قالوا : بلى دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه !! .

فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دَعَوْهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاجتمعوا للنك ، واتعدوا له .

ثم خرج أولئك نفر من يهود حتى جاءوا غطفان ، فدعوم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن .

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة .

فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين في الأجر .

وعمل معه المسلمون فيه ؛ فدأب فيه ودأبوا .

وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يستترون بالضعيف عن العمل ، ويقسطلون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه .

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت في عشرة آلاف من أحاديثهم ، ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة .

وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أحد .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع ،

في ثلاثة آلاف من المسلمين .

فغرب هنا لك معسكره ، والخذلق بينه وبين القوم .
وامتعل على المدينة ابن أم مكتوم .
وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في الحصون .

غدر اليهود

وخرج عدو الله حُيَّ بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد ، وكان قد وادع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده .
قال حِي : ويحك يا كعب ، جئت بك بعز الدهر ويختر طام . . . جئت بك
بقريش ، على قاداتها وساداتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من دومة . .
وبغطفان على قاداتها وساداتها ، حتى أنزلتهم إلى جانب أحد ، قد عاهدوني
وعاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه .

فلم يزل حِي بكعب ، حتى تقهر كعب بن أسد عهده ، وبرىء مما كان
بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فلما اتبى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، وإلى المسلمين ، بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه ، ينظرون حقيقة الخبر .
فخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم .
نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : مَنْ رسول الله ؟ ! .
لأعهد بيننا وبين محمد ولا عقدا .

ثم أقبل أولئك نفر وأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر » . أبشروا يامعشر المسلمين .
وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن
أسفل منهم .

حتى ظن المؤمنون كلَّ ظن .
ونجم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال أحدهم : كان محمد يعدنا أن

فَأَكَلَ كَنْزُ كَسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَأَحْدَثْنَا الْيَوْمَ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْفَنَائِطِ .

فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ بَعْضًا وَعَشْرِينَ لَيْلَةً ، قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ .

لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُمْ حَرْبٌ إِلَّا الرَّمْيَ بِالنَّبْلِ وَالْحَصَارَ .

فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَعَدُوهُمْ مُحَاصِرُهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُمْ قِتَالٌ ، إِلَّا أَنْ فَوَارِسَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ ، تَيَمَّمُوا مَكَانًا ضَيْقًا مِنَ الْخَنْدَقِ ، فَضَرَبُوا خِيُولَهُمْ فَاقْتَحَمَتْ مِنْهُ ، وَخَرَجَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي نَفَرٍ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى أَخَذُوا عَلَيْهِمُ الثُّغْرَةَ الَّتِي أَقْحَمُوا مِنْهَا خِيْلَهُمْ .

وَقَتَلَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَمْرُو ، وَخَرَجَتْ خِيْلُهُمْ مِنْهَزِمَةً ، حَتَّى اقْتَحَمَتْ مِنَ الْخَنْدَقِ هَارِبَةً .

وَكَانَ شَطَارُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ « حِمٌّ لَا يُنْصَرُونَ » .

إِنْ الْحَرْبَ خَدَعَةُ

ثُمَّ إِنْ نَصِمَ بْنُ غَطَفَانَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَإِنْ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي ، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، فَخَذَلْ عَنَّا إِنْ اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدَعَةُ » .

فَخَرَجَ نَعِيمٌ حَتَّى أَتَى بَنِي قُرَيْظَةَ - وَكَانَ لَهُمْ نَدِيمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ - فَقَالَ : يَا بَنِي قُرَيْظَةَ . . . إِنْ قُرَيْشًا وَغَطَفَانًا لَيْسُوا كَأَنْتُمْ : الْبَلَدُ بِلَدِكُمْ ، فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ ، لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَحْوِلُوا مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ، وَإِنْ قُرَيْشًا وَغَطَفَانًا قَدْ جَاءُوا لِلْحَرْبِ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ ، وَقَدْ ظَاهَرَتْ مَوَدَّتُهُمْ عَلَيْهِ ، فَإِنْ رَأَوْا فُرْصَةً أَصَابَوْهَا ، وَإِنْ كَانَ

عبر فلك لحقوا ببلادهم ، واخلوا بينكم وبين الرجل يسلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم ، يكو تون بأيديكم ثقة على أن تقاتلوا معهم محمداً ...
قالوا له : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين ، من قريش وغطفان ، رجلاً من أشرفهم ، فتعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ، ثم نكون مملوك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ، فإن بعثت إليكم يهود يلتصون منكم رهناً من رجالكم ، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً .

ثم خرج إلى غطفان ، فقال لهم مثل ما قال لقريش ، وجذرهم ما حذرهم .
فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس من الهجرة ، أرسل أبو سفيان ، ورموس غطفاني ، إلى بنى قريظة أن أغدوا للقتال حتى تنأجر محمداً وتفرغ مما بيننا وبينه .

فأرسلوا إليهم إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا يعمل فيه شيئاً ، ولنا مع ذلك الذين تقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم ، فإننا نخشى أن نتركوا والرجل في يدها ، ولا طاقة لنا بذلك منه .

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالوا ، قالت قريش وغطفان : والله إن الذي حدثكم نعيم لحق .

فأرسلوا إلى بنى قريظة : إنا والله لاندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا .

فالت بنو قريظة ، حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم لحق ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا ، فإن رأوا فرصة اتهموها .

وإن كان غير ذلك انشعروا إلى بلادهم واخلوا بينكم وبين الرجل في بدهم .
فأرسلوا إلى قريش وخطفان : إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى
تغطوا نار ههنا .

فأبوا عليهم وخلصنا في الله يخلصهم .

وبعث الله عليهم الريح في ليل شاتيه ، باردة ، شديدة البرد .
فجعلت تكفاً قد ورم ، وتغارجاً بينيتهم .

فلما رأى أبو سفيان ذلك قال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أنصبتهم
بدار مقام ، لقد هلك الخيل والإبل ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبأغنا عنهم الذي
نكره ، ولقيتنا من شدة الريح ما تزول ، ما تظلمن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار
ولا يستمسك لنا بناء ؛ فارتحلوا فإني مرتحل .

ثم قام إلى جملة ، ثم ضربه فوثب به .

وسمعت غطفان بما فعلت قريش من ارتحلها ، فانشعروا راجعين إلى بلادهم .

غزوة بني قريظة

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق ، راجعاً
إلى المدينة ، والمسلمون ، ووضعوا السلاح

فلما كانت الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وقال له : إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة ، فإني عامد إليهم
فمزلزل بهم

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً فأذن في الناس : « من كاتب
سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة »

يا إخوان القردة !

وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضي الله عنه بزيته
إلى بني قريظة

وابتدرها الناس .

فسار على بن أبي طالب حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، قال : يا رسول الله
لا عليك أن لا تدنوا من هؤلاء الأخابث .

قال : « لم ؟ أظنك شمت منهم لى أذى ؟ » .

قال : نعم يا رسول الله .

قال : « لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً » .

فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال : « يا إخوان
القردة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته ؟ » .

قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً .

وتلاحق به الناس ، فأتى رجال منهم من بعد المشاء الآخرة .

وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة .

حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب .

فلما أصبحوا ، نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبت
الأوس فقالوا : يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ، إيتهم كانوا موالينا دون

الخزرج ، وقد فعلت في موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - قبل بنى قريظة - قد حاصر بنى
قينقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبد الله بن أبي ،

فوجههم له .

فلما كلمته الأوس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا ترضون بامعشر
الأوس أن يحكم فيهم رجلٌ منكم ؟ » .

قالوا : بلى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فذاك إلى سعد بن معاذ » .
قال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله ، وميثاقه إن الحكم فيهم
لما حكمت ؟ .

قالوا : نعم .

قال : وحلى من هاهنا ؟ .

في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لإجلاله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم » .

وقال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتُسبى

المنراى والنساء .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : « لقد حكمت فيهم بحكم الله » .

ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، في دار
بنت الحرث ، امرأة من بنى النجار .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة ، فخندق بها خنادق .

ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق .

يُخرجُ بهم إليه طائفة بعد طائفة ، وفيهم عدو الله حُيَّ بن أخطب ، وكعب

ابن أسد رأس القوم .

وكانوا بين الثمانمائة والتسعمائة .

وقد قالوا لكعب بن أسد ، وهم يُذهبُ بهم إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم أرسالا : يا كعب ، ماتراه يصنع بنا ؟ .

قال : أفى كل موطن لاتعقلون ؟ ! ألا ترون الداعى لا ينزع ، وأنه من

ذهب به منكم لا يرجع ؟ ! هو والله القتل .

فلم يزل ذلك الدأب ، حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأتى بيحيى بن أخطب ، عذو الله ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله فمالت نفسي في غداوتك ، ولكنه من يخذل الله يُخَذَّل .
ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقد ، وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل .

ثم جلس ، فضربت عنقه .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نساءهم ريحانة .
بنت عمرو ، إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى توفى عنها وهي في ملكه .

وأُنزل الله تعالى في أمر الخندق ، وأمر بنى قريظة من القرآن القصة في .
سورة الأحزاب .

وفاة سعد بن معاذ

فلما انقضى شأن بنى قريظة ، انفجر بسعد بن معاذ جرحه ، فمات منه شهيداً .

شهداء يوم الخندق

ولم يسقط شهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة منهم سعد بن معاذ .
وقتل من المشركين ثلاثة .

مصرع سلام بن أبي الحقيق

ولما انقضى شأن الخندق ، وأمر بنى قريظة ، وكان سلام بن أبي الحقيق .
فيمن حزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاستأذنت الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل سلام ، وهو بخير ،
فأذن لهم .

نخرج إليه من الخزرج خمسة ، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن عتيك ، ونهأهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة .
فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتوا داره ليلاً . وضربوه بأسيا فمهم حتى قتلوه .
ثم عادوا ، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبروه بقتل
عدو الله .

اسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

عن عمرو بن العاص قال : لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق ، جمعت
رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، قلت لهم تعلموا والله إني
أرى أمر محمد يملو الأمور علواً منكراً ، وإني لقد رأيت أمراً فاترون فيه ؟ .
قالوا : وماذا رأيت ؟ !

قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا
كنا عند النجاشي ، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت
يدى محمد ، وإن ظهر قومنا فتحن من قد عرفوا ، فلن يأتيانا منهم إلا خير .
قالوا : إن هذا الرأي .

قال : فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية - وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه - فدخل عليه ، ثم خرج من عنده .
فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ، لو قد دخلت على النجاشي لسأله إياه .
فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أنى قد قتت مقامها حين
قتلت رسول محمد .

قال : فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع . ثم قلت له : أيها الملك ،
إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطانيه
لأقتله . فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا .

ضُفِبَ وَقَالَ : أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ
الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِيَقْتُلَهُ ؟ ! .

قُلْتُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَكْذَابُكَ هُوَ ؟ !

قَالَ : وَبِحُكِّ يَاعْمُرُو !! أَطْعَمَنِي وَاتَّبِعْهُ ؛ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَعَلِّي الْحَقُّ ، وَلِيُظْهِرَنِي
عَلَى مَنْ خَالَفَهُ كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ .
قُلْتُ : أَفَتَبَايَعُنِي لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ؟ .
قَالَ : نَعَمْ .

فَبَسَطَ يَدَهُ ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى أَصْحَابِي وَقَدْ تَحَوَّلَ رَأْيِي
عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ ، وَكُتِمَتْ أَصْحَابِي إِسْلَامِي .

ثُمَّ خَرَجْتُ عَامِلًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَسْلِمَ .
فَلَقِيتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ - وَذَلِكَ قَبِيلَ الْفَتْحِ - وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ ، فَقُلْتُ :
أَيْنَ يَا أَبَا سَلِيمَانَ ؟ .

قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ تَبَيَّنَ الْأَمْرُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٍّ ، أَذْهَبُ وَاللَّهِ فَاسْلِمَ ،
لِغَتِي مَتَى ؟ ! .

قَالَ : قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا جِئْتُ إِلَّا لِأَسْلِمَ .
فَقَلَعْنَا الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ
فَاسْلَمَ وَبَايَعَ .

ثُمَّ دَنَوْتُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ يُغْفَرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِي ، وَلَا أَذْكَرُ مَا تَأَخَّرَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَاعْمُرُو ، بَايِعْ ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ
يَجِبُ^(١) مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَإِنَّ الْهَجْرَةَ تَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهَا » .
وَقَالُوا : إِنَّ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ كَانَ مَعَهُمَا ، أَسْلَمَ حِينَ أُسْلِمَا .

(١) يجب : يقطع .

زواج أم حبيبة بنت أبي سفيان

قالت أم حبيبة : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي ،
جارية يقال لها أبرهة ، فاستأذنت عليّ فأذنت لها ، قالت : إن الملك يقول لك
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أن أزوجه .
قلت ، بشرك الله بالخير .

وقالت : يقول لك الملك : وكلّ من يزوجه .

قلت : فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته ، وأعطيت أبرهة سوارين
من فضة ، وخواتيم من فضة في كل أصابع رجلي سروراً بما بشرتني به .
فلما أن كان من العشي ، أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ، ومن كان هناك
من المسلمين أن يحضروا .

وخطب النجاشي وقال : الحمد لله ، الملك القدوس المؤمن العزيز الجبار ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم .
أما بعد ... فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب أن أزوجه أم حبيبة بنت
أبي سفيان ، فأجبت إلى مادعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصدقها
أربعمائة دينار .

ثم سكب الدنانير بين يدي القوم .

فتكلم خالد بن سعيد فقال : ... أما بعد ، فقد أجبت إلى مادعا إليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد ، فقبضها .

ثم أرادوا أن يقوموا فقال : اجلسوا فإن من سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن
يؤكل طعام على التزويج ، فدعا بطعام ، فأكلوا ، ثم تفرقوا .

زواج زينب بنت جحش

تزوجها عليه السلام سنة خمس من الهجرة ... في ذى القعدة ... بعد
بنى قريظة .

وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة : فمكثت عند زيد قريباً من سنة ،
ثم وقع بينهما خلاف ، فجاء زوجها يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فكان صلى الله عليه وسلم يقول له : اتق الله ، وأمسك عليك زوجك .
ثم طلقها زيد ... فلما انقضت عدتها بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
مخطبها إلى نفسه ، ثم تزوجها .

نزول الحجاب صديحة عرسها

وكان نزول الحجاب في هذا العرس صيانة لها ولأخواتها من أمهات المؤمنين .
عن أنس بن مالك قال : لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب
بنت جحش دعا القوم ، فطمعوا وجلسوا يتحدثون ، فإذا هو يتبها للقيام فلم يقوموا
فلما رأى ذلك قام ، فلما قام قام من قام ، وقعد ثلاثة نفر ، وجاء النبي صلى الله
عليه وسلم ليدخل فإذا القوم جلوس ، ثم إنهم قاموا فانطلقوا ، فجئت فأخبرت
النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل ، فذهبت أدخل ، فالتقى
الحجاب بيني وبينه ، فأنزل الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت
النبي) الآية . (البخارى)

وتلك الآية هي قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا
أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم
فانقشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبي فيمتحي منكم والله
لا يستحي من الحق ، وإذا سألتهم من متاعاً فاسألوهم من وراء حجاب ، ذلكم
أطهر لقلوبكم وقلوبهم ، وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ، ولا أن تنكحوا
أزواجه من بعده أبداً ، إن ذلكم كان عند الله عظيماً . إن تبدوا شيئاً أو تخفوه ،
فإن الله كان بكل شيء عليماً) .

صُلَحُ الْحَدِيثِ

نحن الآن في سنة ست من الهجرة ، وهي السنة التي كان في أوائلها ...

غزوة بني لحيان

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ... وخرج على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحيان .
وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غيرة .
فخرج من المدينة ، واستعمل عليها ابن أم مكتوم ... فوجدهم قد حنّروا ، وتمنّوا في رؤوس الجبال .

فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخطأه من غرتهم ما أراد قال :
« لو أننا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أننا قد جننا مكة ؟ » .
فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع النعميم ... ثم كرّأ .
وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا .

غزوة ذي قرد

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يبق بها إلا ليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن في خيل من غطفان على إبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة ، وفيها رجل من بني غفار وامرأة له ، قتلوا الرجل ، واحتملوا المرأة في الإبل .

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فصرخ بالمدينة الفرّج ... الفرّج .
فترامت الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فلما اجتمعوا إليه ، أمر عليهم سعد بن زيد ، ثم قال : « اخرج في طلب القوم حتى ألقاك في الناس » .
وكان أول فارس لحق بالقوم مُحَرِّزُ بن نضلة وحمل عليه رجل منهم قتله ..

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

فقتلوا من لحقوا به من الأعداء ، واستنقذوا بعض الإبل .
وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قرد ، وتلاحق به الناس ، وأقام عليه يوماً وليلة .
ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً حتى قدم المدينة .
وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر .

غزوة بني المصطلق

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجباً ، ثم غزا بني المصطلق في شعبان سنة ست من الهجرة .
واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري .
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجمعون له ، فلما سمع بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له « المرَيْسَعُ » .
فمزاحف الناس ، واقتتلوا ، فهزم الله بني المصطلق ، وقتل من قتل منهم .
وغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم .

ليخرجن الأعز منها الأذل

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جَهْجَاهُ يقود فرسه .
فازدحم جهجاهُ وسانانُ بن وبرة الجهني ، حليف بني عوف بن الخزرج على الماء .

فاقتتلا ، فصرخ الجهني : يامعشر الأنصار .
وصرخ جهجاهُ : يامعشر المهاجرين .

فغضب عبد الله بن أبي بن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم
علامٌ حدث ، قال : أَوَقَدْ فعلوها ؟ . قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أُعَدَّتْنا
وجلايب قريش هذه إلا كما قال الأول « سَمَنَ كَلْبُكَ يَا كَلْبَ » أما والله لئن
وجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَ الأعز منها الأذل .

فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فحشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك
عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر
ابن الخطاب فقال : مُرْ به عبَّاد بن بشر فليقتله .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن
محمداً يقتل أصحابه ؟ ! لا ، ولكن أذن بالرَّحِيل .

وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها .

فارتحل الناس ...

وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
— حيث بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه — خلف بالله ما قلت ما قال ،
ولا تكلمت به ، وكان في قومه شريفاً عظيماً ..

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ،
وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ،
فلم يلبثوا أن وجدوا مَسَّ الأرض فوقهم نياماً .

وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث
الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي .

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين .

وأتى عبد الله — ابن عبد الله بن أبي — رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه .
فإن كنت لا بد فاعبلا فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت

الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني ، وإني أخشى أن يأمر به غيبي
فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي عيشي في الناس ، فأقتله ،
فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر ؛ فأدخل النار .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل تفرق به ونحسِّنُ صحبتهُ
ما بقي معنا » .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث ، كان قومه هم الذين يصابونه ، ويأخذونه
ويعفونه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب - حين بلغه ذلك من
شأنهم - « كيف ترى يا عمر ؟ » أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت
له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته » .

قال عمر : قد والله علمتُ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظمُ بركةٍ
من أمري .

هذا وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق « يا منصور أمتٌ أمتٌ » .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سبياً كثيراً .
فوزعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين .

زواجه جويرة بنت الحرث

وكان فيمن أصيب يومئذ من السبائا جويرة بنت الحرث بن أبي ضرار ، زوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن
أبي ضرار بفداء ابنته .

فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء فرغب في بيعين منها
فبيعهما في شعب من شعاب العقيق .

ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : يا محمد ، أصبتم ابنتي وهذا فداؤها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَأَيْنَ البعيران اللذان غَيَّبْتَهُمَا بالعقيق
في شِعب كذا وكذا ؟ » .

قال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله ، فوالله
ما أطلع على ذلك إلا الله ! .

فأسلم الحارث . وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه .

وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم
ودُفعت إليه ابنته جويرة ، فأسلمت وحسن إسلامها .

فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبيها : فزوجه إياها ، وأصدقها
أربعمائة درهم .

وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، حتى إذا كان قريباً
من المدينة ، وكانت معه عائشة في سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

حديث الإفك

قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع
بين نسائه فَأَيَّتَهُنَّ خرج م معها خرج بها معه .

فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع ، فخرج م معها
عليهن معه .

فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن
العَلَقَ^(١) ، لم يَهَيَّجَنَّ^(٢) اللحمُ فينقلن ، وكنت إذا رُحِل لي بعيري جلست في
هودجى ، ثم يأتى القوم الذين يرحلون لي ويحملوننى ، فيأخذون بأسفل الهودج
فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير
فينطلقون به .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجَّه قافلاً .

(١) العلق : طعامهم كان قلاباً . (٢) الهيج : انتفاخ الجسم .

حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً ، فبات به بعض الليل .

ثم أذن في الناس بالرحيل .

فارتحل الناس .

وخرجت لبعض حاجتي ، وفي عنقي عقدٌ لي فيه جِزْعٌ ظَنَابَرٌ^(١) ، فلما فرغت .

انسلَّ من عنقي ولا أدري .

فلما رجعت إلى الرجل ، ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده .

وقد أخذ الناس في الرحيل .

فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته .

وجاء القوم خلا في الذين كانوا يرحلون لي البعير ، وقد فرغوا من رحلته ،

فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدوه على البعير ،

ولم يشكروا أني فيه .

ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به .

فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا محجيب ، قد انطلق الناس .

فتلفتُ بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني ، وعرفت أن لو قد افتقدت

لرجع لي .

فوالله إني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي ، وقد كان تخلف .

عن العسكر لبعض حاجاته ، فلم يبت مع الناس .

فرأى سوادى^(٢) ، فأقبل حتى وقف على ، وقد كان يراني قبل أن يضرب .

علينا الحجاب .

فلما رأيته قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، طعينة رسول الله صلى الله عليه .

وسلم ؟ !

وأنا متلفة في ثيابي .

(١) الجزع : الحرز . وظنابار : اسم المدينة . (٢) شخصي .

قال : ما خلفك يرحمك الله ؟

فما كلمته . . ثم قرَّب البعير فقال : اركبي ، واستأخر عني .

فركبت ، وأخذ برأس البعير ، فانطلق سريعاً يطلب الناس .

فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس .

فلما اطمأنوا طلع الرجلُ يقودني ، فقال أهل الإفك ما قالوا : فارتعج^(١)

العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك .

وقالت : ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغني

من ذلك شيء .

وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى أبوي ،

لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً ، إلا أني قد أنكرت من رسول الله

صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بي .

كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي : فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك

فأنكرت ذلك منه . كان إذا دخل على وعندى أمي تمرضني قال : كيف تبيكم ؟

لا يزيد على ذلك .

حتى وجدت في نفسي ، فقلت : يا رسول الله - حين رأيت ما رأيت من

جفائه لي - لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرضتني ؟

قال : « لا عليك » .

فانتقلت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان ، حتى نقيت من وجعي بعد

بضع وعشرين ليلة .

وكنا قوماً عرباً ، ولا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الأعاجم

نعافها ونكرها ، إنما كنا نذهب في فصح المدينة ، وإنما كانت النساء يخرجن

كل ليلة في حوائجهن .

(١) فارتعج : تحرك واضطرب .

فخرجت ليلة ليمض حاجتي ومعي أم مسطح . . . وكانت أمها خالة
أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مِرْطِها^(١) قالت : تمس مسطح .

قلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ؟ !

قالت : أو ما بلغت الخبر يا بنت أبي بكر ؟ !

قلت : وما الخبر ؟ .

فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك .

قلت : أو قد كان هذا ؟ !

قالت : نعم والله لقد كان !

فوالله ما قدرتُ على أن أقضي حاجتي ورجعت !

فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيعصدعُ كبدي .

وقلت لأُمي : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي

من ذلك شيئًا ؟ ! .

قالت : أي بنية خفزي عليك الشأن ، فوالله لعلما كانت امرأة حسناء عند

رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرت وكثر الناس عليها .

وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي

ويقولون عليهم غير الحق ؟ . والله ما علمت منهم إلا خيراً ! ويقولون ذلك لرجل

والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يدخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معي » !

وكان كبيرُ ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلول ، في رجال من الخزرج ، مع

مع الذي قال مسطح ، وخنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش

كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من نسائه امرأة تفاصبني

(١) مرطها : كسائها .

في المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فصمصها الله تعالى بدينها ، فلم تقل إلا خيراً ،
وأما حمنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضادني لأختها ، فشقيت بذلك .
فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أسيدُ بن حضير يارسول
الله ، إن يكونوا من الأوس نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج
فرنا بأمرك ، فوالله لإنهم لأهل أن تضرب أعناقهم .

فقام سعد بن عبادة - وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً - فقال : كذبت ،
لعمرك الله لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم
من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ؟

فقال أسيد : كذبت لعمرك الله ، ولكنك مُنافك تجادل عن المنافقين .
وتشاور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس
والخزرج شر .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ، فدعا على بن أبي طالب رضوان
الله عليه وأسامة بن زيد فاستشارهما .

فأما أسامة فأثنى على خيراً وقاله ، ثم قال : يارسول الله ، أهلك ولا نعلم
إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل .

وأما على فإنه قال : يارسول الله ، إن النساء لكثير ، وإنك لتأدر على أن
تستخلف ، ولسن الجارية فإنها لتصدقك .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بُرَيْرَةَ لِبَـأَـهَا .

فقام إليها على بن أبي طالب فضربها ضرباً شديداً ، ويقول : أصدق رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب
على عائشة شيئاً إلا أتي صكت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتي
الشاة فتأكله .

ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي أبواي ،

وهتدي امرأة من الأنصار... وأنا أبكي وهي تبكي معي ، فجلس لحظ الله وأتني عليه ، ثم قال : « يا عائشة .. إنه قد كان ما قد بقتك من قول الناس ، فأتني الله فإن كنتِ قارفتِ سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله فإن الله يهتدي التوبة عن عباده » .

فوالله ما هو إلا أن قال لي قللك فقلّص^(١) دمي حتى ما أحس منه شيئاً وانتظرت أبوي أن يجييا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتكلما ! وأيم الله لأنا كنت أحتر في نفسي ، وأصفر عاتاً من أن ينزل الله في قرآنا بقرأ به في المساجد ويصلي به ، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه شيئاً يكذب به الله عني ، لما يعلم من براءتي ، أو يخبر خبراً ، فأما قرآن ينزل في فوائده لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك . فلما لم أر أبوي يتكلمان قلت لها : ألا تيجيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ !

قالا : والله ما ندري لماذا نجيبه ! .

ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام . فلما أن استعجبا على استعبرت فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله بما ذكرت أبداً ، والله إنني لأعلم لئن أقروا بما يقول الناس والله يعلم أني منه بريئة لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لاتصدقوني . ثم التفت اسم يعقوب فما أذكره !

قلت : ولكن سأقول كما قال يوسف « فصبّر جميل » والله المستعان على ما تصفون » .

فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسه حتى تنفضاه من الله ما كان بتنفضاه ، فسجى بشوبه ، ووضعت له وسادة من آدم تحت رأسه .

(١) قلص الرفع : ارتفع .

فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فرغت ولا ما كبت ، قد
عرفت أنى منه بريئة ، وأن الله عز وجل غير ظالمى .
وأما أبواى فوالذى نفس عائشة بيده ما سرى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا من أن يأتى من الله تحقيق
ما قال الناس .

أبشرى يا عائشة

ثم سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس ، وإنه ليتحدّر منه مثل
الجان في يوم شاتٍ ، فجعل يمسح المرقع عن جبينه ويقول : « أبشرى
يا عائشة ، فقد أنزل الله براءتك » .
قلت : بحمد الله .

ثم خرج إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك .
ثم أمر بمسطح بن أثانة ، وحسان بن ثابت ، وسمينة بنت جحش -
وكانوا ممن أفصح بالفاحشة - فضربوا حدم .

غزوة الحديبية

نحن في ذى القعدة سنة ست هجرية ، وهامو رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخرج معتمراً ، يريد زيارة البيت لا يريد حرباً .
واستنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب ومن حوله من أهل البوادي
من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب ،
أو يصدوه عن البيت .

فأبطأ عليه كثير من الأعراب .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن
لحق به من العرب ، وساق معه الهدى ، وأحرم بالعمرة ، ليأمن الناس من حربه
وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظما له .

• وكانوا أربع عشرة مائة .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بعسفان ، لقيه بشر ابن سفيان ، فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا ، قد لبسوا جلود الغنم ، وقد نزلوا بذى طوى ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ويح قريش ، قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ؟ . فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟ . فوالله لأزال أجاهد على هذا الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ...

ثم قال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ .

فقال رجل من أسلم : أنا يا رسول الله .

فبلك بهم طريقاً وعرّاً أجزل بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على المسلمين ، فأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي قال رسول الله : قولوا نستغفر الله ونتوب إليه .

فقالوا ذلك ...

فقال : والله إنها للّجِطَّة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الخوض في طريق يخرجني على ثنية المزارع مهيطة الحديبية من أسفل مكة .

فسلك الجيش ذلك الطريق .

فلما رأت خيل قريش قسرة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش .

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثنية المزارع ، ثم قال للناس : انزلوا

فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رجال من خزاعة فكلموه
وسألوه ما الذى جاء به ؟ .

فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ، ومعظمها حرمة .
فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد ، فإن
محمد لم يأت لقتال ، إنما جاء زائراً لهذا البيت .
فاتهموم وقالوا : وإن جاء ولا يريد قتالاً ، فوالله لا يدخلها علينا غنوة
ولا تحدث بذلك عنا العرب .

ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفى ، فخرج
حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد ، أجمعت
أو شاب الناس ، ثم جئت بهم إلى بيضتك لتقبضها بهم ؟ ! إنها قريش
قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمر ، يماهدون الله لا تدخلها
عليهم غنوة أبداً .

فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو مما كلم به أصحابه ، وأخبره أنه
لم يأت يريد حرباً .

فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه .
فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، إني قد جئت كسرى فى ملكه
وقيصر فى ملكه ، والنجالى فى ملكه ، وإني والله مارأيت ملكاً فى قومه قط
مثل محمد فى أصحابه ! . ولقد رأيت قوماً لا يسلّمونه لشيء أبداً ، فزورأبكم .

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب لبيعته إلى مكة ، فيبلغ
عنه أشرف قريش ما جاء له ، فقال له : يا رسول الله ، إني أخاف قريشاً على نفسى ،
وليس بمكة من بنى هدى أحد يمنعنى ، وقد عرفت قريش عدوتى إياها . وغلظتى
عليها ، ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى ، عثمان بن عفان .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ، فبعثه إلى أبى سفيان

وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت ،
معظماً لحرمته .

نفرج عثمان إلى مكة ... حتى أتى أبا سفيان وعظماً قريش ، فبلغهم عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به .

فقالوا لعثمان حين بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت أن
نعطوف بالبيت فطفت .

قال : ما كنت لأفعل حتى يعطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم .
واحتبسته قريش عندها .

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا نبرح
حتى نتأجر القوم .

بيعة الرضوان

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيعة ، وكانت بيعة الرضوان
تحت الشجرة .

وكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت
فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتخلف عنه أحد من
المسلمين حضرها .

وكان بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان فضرب بإحدى يديه
على الأخرى .

ثم بعث قريش سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا :
آت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله
لا نتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبداً .

فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال :
قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل .
فلما انتهى سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسكلم فأطال الكلام .
وتراجعا ... ثم جرى بينهما الصلح .
فلما التأم الأمر ، ولم يبق إلا الكتاب ... ماذا جعلت ؟ .

عمر يرفض الصلح !

وثب عمر فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ .

قال : بلى .

قال : أولسنا بالمسلمين !

قال : بلى .

قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ .

قال : بلى .

قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ ! .

قال أبو بكر : يا عمر .. الزم غرزك . فإني أشهد أنه رسول الله .

قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ... أأنت
برسول الله ؟ .

قال : بلى .

قال : أولسنا بالمسلمين ؟

قال : بلى .

قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ .

قال : بلى .

قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ ! .

قال : أنا عبد الله ورسوله .. لن أخالف أمره .. ولن يضيعني .
ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضي الله عنه ..
الهدية

قال : اكتب . بسم الله الرحمن الرحيم .
قال سهيل : لأعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم .
فكتبها ...

قال : اكتب ... هذا ماصالح عليه محمد رسول الله ، سهيل بن عمرو .
قال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك
واسم أبيك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب ... هذا ماصالح عليه محمد بن
عبد الله ، سهيل بن عمرو ، اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ،
يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض . على أنه من أي محمداً من قريش
بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وإن بيننا
عيبه مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد
وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .
فتوالت خزاعة . قالوا : نحن في عقد محمد وعهده .

وتوالت بنو بكر قالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم .. وإنك ترجع
عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وإنه إذا كان عام قابل ، خرجنا عنك فدخلها
بأصحابك ، فأقت بها ثلاثاً ، معك سلاح الرماح ، السيوف في القرب ، لا تدخلها
بنسرها .

ابن سفير قريش يأتي مسلماً !

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو ومهمل بن عمرو ،
إذ جاء أبو جندل بن مهمل بن عمرو يرسف في الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرجوا وهم لا يشكون
في التبع ، لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رأوا حلوا من الصلح ، والرجوع ، وما تحمل عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم في نفسه ، دخل على الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكون .
فلما رأى مهمل أبا جندل ، قام إليه ، فضرب وجهه ، وأخذ بتطبيبه وظال :
يا محمد .. قد لجت القضية بيني وبينك ؛ قبل أن يأتيك هذا ؟ .

قال : صدقت ...

فجعل يهتد بتطبيبه ، ويحمره ، يعني يردّه إلى قريش ! .
وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين .. أريد إلى الشركين
يفتنونني في ديني ؟ !

فزاد ذلك الناس إلى ما بهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإن
الله جاعل لك ولن مملك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . إنا قد عقدنا بيننا وبين
القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطيناهم عهد الله ، وإنا لا نفرجهم » .

فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول : اصبر أبا جندل
فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب .

ويدنى عمر قائم السيف منه .

يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف ، فيضرب أباه .

فرض الرجل يديه ، ونخفت القضية .

شهود الصلح

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ، ورجالا من المشركين .

أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله ابن سهيل بن عمرو ، رسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك ، وعلى بن أبي طالب وكان هو كاتب الصحيفة .

يتحلل من إحرامه

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضارباً خيامه خارج منطقة الحرم ، وكان يصلى في الحرم .

فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره ، ثم جلس فخلق رأسه . فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحى وحلق ، توائبوا ينحرون ويحلقون .

نزول سورة الفتح

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلاً . حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) . ثم كانت القضية فيه وفي أصحابه ، حتى انتهى إلى ذكر البيعة فقال جل ثناؤه : (إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَن أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْوَتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا) .

ثم قال الله تعالى : (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ

الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً . وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها ، وكان الله على كل شيء قديراً .

ثم قال تبارك وتعالى : (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) يعني سهيل بن عمرو ، حين حى أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وأن محمداً رسول الله .

ثم قال تعالى : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا يخافون فعلم ما لم تعلموا) أى : لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رأى أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف .

ثم يقول تبارك وتعالى : (فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً) صلح الحديبية .

فما فتح في الإسلام فتح ، قبله كان أعظم منه .

إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ، ووصعت الحرب ، وأمن الناس بعضهم بعضاً ، والتقوا ، فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، ولم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه .

ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر والدليل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف .

الحمار الأولي للصلح

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أتاه أبو بصير ، وكان ممن حبس بمكة .

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كتبت فيه قریش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثوا رجلاً معه مولى لهم .

فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بصير ، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا في ديننا الضر ، وإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً فانطلق إلى قومك » .

قال : يا رسول الله ، أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟

قال : « يا أبا بصير ، انطلق ، فإن الله تعالى سيجعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً » .
فانطلق معها ...

حتى إذا كان بذي الحليفة جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحبه .

فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟

قال : نعم .

قال : انظر إليه ؟

قال : انظر إن شئت .

فاستله أبو بصير ، ثم علاه به حتى قتله .

وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد .

فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالماً قال : « إن هذا الرجل قد رأى فرجاً » .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ويحك ؟! مالك ؟ .
قال : قتل صاحبكم صاحبي .

فما برح حتى طلع أبو بصير مُتَوَشِّحًا بالسيف ، حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، وَفَتْ ذِمَّتُكَ ، وَأَدَّى اللَّهُ عَنْكَ ، أَسْلَمْتَنِي بيد القوم ، وقد امتنعت بديني أن أقتن فيه ، أو يعْبَثَ بي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَبَلُّ أُمَّهِ مَحْشٌ حَرْبٍ ^(١) » ، لو كان معه رجالٌ .
ثم خرج أبو بصير حتى نزل على ساحل البحر بطريق قريش ، التي كانوا يأخذون عابها إلى الشام .

وبلغ المسلمين الذين كانوا حُبِسُوا بِمَكَّةَ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بصيره « ... لو كان معه رجال » .

فخرجوا إلى أبي بصير ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً .
وكانوا قد ضَيَّقُوا على قريش ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتله ، ولا تمر بهم غير إلا اقتطعوها .

حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم ! .

فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .
وكانت تلك هي القطاف الأولى لصاح الحديبية ! .

المؤمنات المهاجرات

وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم كلثوم بنت عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ في تلك اللمدة .

فخرج أخوها عمارة والوليد ابنا عتبة ، حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يرُدَّها عليهما بالعهد الذي بينه وبين قريش في الحديبية .

(١) أى أنه يؤقت الحرب ويهيجها ويشعل نارها .

فلم يفعل ... وأبى الله ذلك ...

يقول تبارك وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنحوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتُموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لهن حل لهن ولاهن يخلون لهن وآتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتُموهن أجورهن ولا تمسكوا بهن الكوافر) ...
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه .

فلما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام ، أبى الله أن يردهن إلى المشركين ، إذا هن امتحن بمحنة الإسلام فعرفوا أنهن إنما جئن رغبة في الإسلام ، وأمر برد صدقاتهن إليهم إن احتسبن عنهم ، إن هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نساءهم ، ذلك حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ، فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ورد الرجال .
ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء كما ردَّ الرجال .

ولولا الهدنة والعهد الذي كان بينه وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يردهن صداقاً ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد .

دعوة ملوك الأرض إلى الإسلام

وفي ذى الحجة من سنة ست من الهجرة ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة من أصحابه إلى ملوك الأرض في ذلك الزمان .
حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية .
وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، ملك عرب النصارى .
ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، وهو هرقل ملك الروم .
وعبد الله بن حذافة إلى كسرى ملك الفرس .

وسليط بن عمرو إلى هوزة بن علي الحنفي .
وعُرو بن أمية إلى النجاشي ملك النصارى بالحبشة ، وهو أصحمة بن الحر .
وهكذا كان صلى الله عليه وسلم ذائماً الدعوة إلى ربه ، ما كاد يعقده صلح
الحديبية ، ويرجع إلى المدينة ، حتى أخذ يبعث رسله إلى أنحاء الأرض .

قصة قيصر

قال أبو سفيان : كنا قوماً تجاراً ، وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت
أموالنا ، فلما كانت الهدنة - هدنة الحديبية - بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانأمن إن وجدنا أمناً .

فخرجت تاجراً إلى الشام ، مع رهط من قريش ، فوالله ما علمت بمكة امرأة
ولا رجلاً إلا وقد حملني بضاعة .

وكان وجه متجرتنا من الشام غزاة ، من أرض فلسطين ، فخرجنا حتى قدمناها
وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم ، على من كان في بلاده من الفرس
فأخرجهم منها ، ورد عليه صليبه الأعظم ، وقد كان استلبوه إياه .

فلما أن بلغه ذلك ، وقد كان منزله بمحصر من الشام ، فخرج منها يمشي
متشكراً إلى بيت المقدس ، ليصلي فيه ، تبسط له البسط ، ويطرح عليها الرياض !
حتى انتهى إلى إيلياء ، فصلى بها .

فأصبح ذات غداة وهو مهموم ، يقلب طرفه إلى السماء .

فقال له بطارقه : أيها الملك ، لقد أصبحت مهموماً ؟ .

فقال : أجل .

فقالوا : وما ذاك ؟ .

فقال : أريت في هذه الليلة ، أن ملك الختان ظاهر .

فقالوا : والله ما نعلم أمة من الأمم تختن إلا اليهود ، وهم تحت يديك ،

وفي سلطانك ، فإن كان قد وقع ذلك في نفسك منهم ، فابحث في مملكتك كلها ،

فلا يبق يهودي إلا ضربت عنقه ، فتستريح من هذا المم .

فإنهم في ذلك من رأيهم يديرونه بينهم ، إذ أنام رسول صاحب بصرى
برجل من العرب قد وقع إليهم ، قال : أيها الملك ، إن هذا الرجل من العرب
من أهل الشام والإبل ، يحدثك عن حدث كان ببلاده ، فأسأله عنه .

فلما انتهى إليه ، قال لترجمانه : سل ما هذا الخبر الذي كان في بلاده ؟
فسأله فقال : هو رجل من العرب ، من قریش ، خرج يزعم أنه نبي وقد
اتبعه أقوام ، وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحم ، في مواطن ، فخرجت
من بلادى وهم على ذلك .

فلما أخبره الخبر ، قال : جردوه .. فإذا هو مختن . فقال : هذا والله الذي
قد آريت ، لا ماتقولون ، أعطه ثوبه ، انطلق لشأنك .

ثم إنه دعا صاحب شرطته ، فقال له : قلب لى الشام : ظهراً لبطن ، حتى
تأتى برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه .

قال أبو سفيان : فوالله إني وأصحابى لبغزة إذ عجم علينا فسالناه : ممن أنتم ؟
فأخبرناه ... فسالنا إليه جميعاً .

فلما اتهمنا إليه قال : أيكم أمس به رحماً ؟
قلت : أنا .

قال : ادنوه منى .

فأجلسنى بين يديه ، ثم أمر أصحابى فأجاسهم خلقى ، وقال : إن كذب
فردوا عليه .

فقال : أخبرنى عن هذا الرجل الذى خرج فيكم .

فزهدت له شأنه ، وصبرت له أمره ، قلت : سلنى عما بدا لك ؟ .

قال : كيف نسبه فيكم ؟ .

قلت : محضاً من أو سلطاناً نسباً .

قال : فأخبرنى هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يقتضيه به ؟ .

قلت : لا .

قال : فأخبرني هل له ملك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوه عليه ؟

قلت : لا .

قال : فأخبرني عن اتباعه من هم ؟

قلت : الأحداث والضعفاء والمساكين ، فأما أشرافهم وذو الأنساب منهم فلا .

قال : فأخبرني عن صحبه أيحبه ويكرمه أم يقلبه ويفارقه ؟

قلت : ماصحبه رجل يفارقه .

قال : فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه ؟

قلت : سجال يدال علينا وتدال عليه .

قال : فأخبرني هل يفدر ؟

قال أبو سفيان : فلم أجد شيئاً أغره به إلا هي .

قلت : لا .. ونحن منه في مدة ، ولا نأمن غدره فيها - فوالله ما التفت

إليها مني -

قال : زعمت أنه من أمحضكم نسباً ، وكذلك يأخذ الله النبي لا يأخذه إلا من

أوسط قومه ، وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به

فقلت لا ، وسألتك هل كان له ملك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه

ملكه فقلت لا ، وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الأحداث والمساكين والضعفاء

وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان ، وسألتك عن يتبعه أيحبه ويكرمه أم يقلبه

وفارقه فزعمت أنه قل من يصحبه يفارقه ، وكذلك حلاوة الإيمان ، لا تدخل

قلباً فتخرج منه ، وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه ، فزعمت أنها سجال ، يدال

عليكم وتدالون عليه وقال لك يكون حرب الأنبياء ، ولهم تكون العاقبة ، وسألتك

هل يفدر ، فزعمت أنه لا يفدر ، فأتى كنت صدقتني ليغابن على ماتحت قدمي

هاتين ، ولوددت أرى عنده ، فأغسل عن قدميه .

ثم قال : الحق بشأنك .

فصمت وأنا أضرب إحدى يدي على الأخرى راقول : يا عباد الله ... أصبح
ملوك بني الأصفر يخافونه في سلطانهم ! .

ماذا في الكتاب ؟

قالوا : وقدم دحية بن خليفة على هرقل ، بكتاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم
سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن
أيت فإن إثم الكافرين (الفلاحين) عليك .

قالوا : فلما انتهى إليه كتابه وقرأه ، أخذه فجعله بين نخذه وخاصرته .
ثم كتب إلى رجل من أهل رومية ، كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ ، يخبره
عما جاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فكتب إليه إنه النبي الذي ينتظرك لاشك فيه فاتبعه .

فأمر بعضاء الروم ، فجمعوا له في دسكرة ملسكه ، ثم اطلع عليهم من عليه له
وهو منهم خائف ، فقال : يامعشر الروم .. إنه قد جاءني كتاب أحمد ، وإنه والله
النبي الذي كنا ننتظر ، ومجمل ذكره في كتابنا ، نعرفه بعلاماته وزمانه ، فأسلموا
واتبعوه ، تسلم لكم دينكم وآخرتكم .

فنخروا نخرة رجل واحد ، وابتدروا أبواب الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم .
فخافهم وقال : ردوهم على ، فردوهم عليه ، فقال لهم : يامعشر الروم ، إني
إنما فات لكم هذه المقالة أختبركم بها ، لأنظر كيف صلابتكم في دينكم ، فلقد
رأيت منكم ماسرني .

فوقعوا له سجداً ... ثم فتحت لهم أبواب الدسكرة فخرجوا !! .

قصة كسرى

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب إلى كسرى .
فأمر كسرى بإيوانه أن يزین ، ثم أذن لعظماء فارس ، ثم أذن لشجاع
ابن وهب .

فلما أن دخل عليه ، أمر كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يقبض منه .

فقال شجاع بن وهب : لا ... حتى أدفعه أنا إليك ، كما أمرني رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

فقال كسرى : ادنه .

فدنا ، فنأوله الكتاب ، ثم دعا كاتباً له من أهل الخيرة فقرأه فإذا فيه :

« من محمد بن عبد الله ورسوله ، إلى كسرى عظيم فارس » .

فأغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصاح ، وغضب ،
ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه !!

وأمر بشجاع بن وهب فأخرج .

فلما رأى شجاع ذلك ، قعد على راحلته ، ثم سار ، ثم قال : والله ما أبالي
على أي الطريقين أكون إذ أديت كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ! .

ولما ذهب عن كسرى سورة غضبه ، بعث إلى شجاع ليدخل عليه ، فالتمس
فلم يوجد ! .

فلما قدم شجاع على النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بما كان من أمر كسرى
وتمزيقه لكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« مزق كسرى ملكه » .

قصة المقوقس

عن حاطب بن أبي بلتعة قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى المقوقس ، ملك الإسكندرية ، فحُثته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فأنزلني في منزله ، وأقامت عنده .

ثم بعث إلى ، وقد جمع بطارقتيه وقال : إني سأثلك عن كلام فأحب أن
تفهم عني .

قلت : هلم .

قال : أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي ؟

قلت : بل هو رسول الله .

قال : فما له حيث كان هكذا ، لم يدع على قومه حيث أخرجه من بلده
إلى غيرها ؟ !

فقلت : عيسى بن مريم ، أليس تشهد أنه رسول الله ؟ .

قال : بلى .

قلت : فما له حيث أخذه قومه ، فأرادوا أن يصلبوه ، ألا يكون دعا عليهم
بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا ؟

فقال لي : أنت حكيم ، قد جاء من عند حكيم .. هذه هدايا أبعث بها معك
إلى محمد ، وأرسل معك بحرس يحرسونك إلى مأمرك .

فأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جوار ، منهن أم إبراهيم
ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لحسن بن ثابت الأنصاري ، وأرسل إليه بهدايا طريفة من طرائفهم .

وكان في جملة الهدية ، غلام أسود خصى ، وخفين ساذجين ، وبغلة بيضاء
اسمها الدلدل ! .

غزوة خيبر

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة - حين رجع من الحديبية -
ذات الحجة وبعض الحرم ، ثم خرج في بقية الحرم إلى خيبر .
ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكانت بيضه .
ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر قال لأصحابه .
« قفوا » .

ثم قال : « اللهم رب السماوات وما أظللن ، ورب الأرضين
وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذنين ، إنا
نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها ،
وشر أهلها ، وشر ما فيها ، أقدموا ، بسم الله » .
الله أكبر ، خربت خيبر

عن أنس بن مالك قال :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غز قوما لم يُمرّ عليهم حتى يصبح
فإن سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار .
فزلنا خيبر ليلاً ، فبث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا أصبح لم
يسمع أذاناً ، فركب وركبنا معه . . .

واستقبلنا عمال خيبر غادين ، قد خرجوا (بفؤوسهم وقهقههم) . . .
فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش قالوا : محمد والجيش معه ..
دبروا هرباً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا

افتتاح الحصون

وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الحصون حصناً حصناً ،
الأدنى فالأدنى .

فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم .
ثم القموص حصن بنى أبي الحقيق .
وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها سبايا : منهن صفية بنت حُيَّ
بن أخطب .

وفشت السبايا من خير في المسلمين .
ثم افتتح المسلمون حصن الصعب بن معاذ ، وما بخير حصن كان أكثر
طمعاً منه .

ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح ، وحاز من
الأموال ما حاز ، انتهى إلى حصنهم ، الوطيح والسلام ، وكان آخر حصون
أهل خير افتتاحاً .

فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشرة ليلة .
وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خير « يامنصور
أمت أمت » .

مرحب اليهودي

خرج مرحب اليهودي من حصنهم ، قد جمع سلاحه يرتجز :
قد علمت خير أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليث أقبلت تحرب
وهو يدل بنفسه . ويقول : من يبارز ؟ .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لهذا ؟ » .
قال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله . . . أنا والله الموتور الفائر ، قل
أخي بالأمس .

قال : « هَمُّ إِلَيْهِ .. اللَّهُمَّ أَعِنِّهِ عَلَيْهِ » .
فلما دنا أحدهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة قديمة طويلة العمر ،
فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه ؛ كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه

مادونه منها ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل القائم ، مافيها غصن .

ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة فضربه فأتقاه بدرة ، فوق سيفه فيها ، فضمت به فأمسكته .

وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله .

مصرع ياسر اليهودي

ثم خرج بعد مَرَّحِب أخوه ياسر ، وهو يقول : من يبارز ؟
فخرج إليه الزبير بن العوام ، فالتقيا ، فقتله الزبير .

بطولة علي بن أبي طالب

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق برأيه إلى بعض حصون خيبر . فقاتل فرجع ولم يك فتح ، وقد أصابه جهد ومشقة .
ثم بعث الغد عمر بن الخطاب ، فقاتل ثم رجع ولم يك فتح ، وقد أصابه جهد ومشقة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه » ، ليس بفرار .
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ثم قال : خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك .

فخرج بها يهرول هرولة ، حتى ركز رايته في حجارة مجتمعة تحت الحصن . ومعه نفر من أصحابه .

فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن : فقال : من أنت ؟ .

قال : أنا علي بن أبي طالب .

قال : علمتكم ، وما أنزل على موسى .

فما رجع حتى فتح الله على يديه .

استسلام خير

وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خير في حصنهم ، الوطح والسلام ، حتى إذا أيقنوا بالهلاك ، سألوه أن ينفيهم ، وأن يحقن لهم دماءهم ، ففعل .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استولى على الأموال كلها ، وجميع حصونهم إلا ما كان من ذينك الحصنين .

فلما سمع بهم أهل فدك ، قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن ينفيهم ، وأن يحقن دماءهم ويخلوا له الأموال ، ففعل .

فلما نزل أهل خير على ذلك سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في الأموال على النصف .

وقالوا : نحن أعلم بها منكم ، وأعمر لها .

فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف ، على أنا إذا شئنا نخرجكم أخرجناكم .

فصالحه أهل فدك على مثل ذلك .

فكانت خير فينا بين المسلمين .

وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

دس السم لرسول الله !

فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم اليهودية ، شاة مشوية .

وقد سألت . أى عضو من الشاة ، أحب إلى رسول الله ؟ .

فقيل لها : الفراع .

فأكثر فيها من السم ، ثم سمّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها .
 فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع . فلاك
 منها مضغاً فلم يبلعها .
 ومعه بشر بن البراء ، وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 فأما بشر فأساعها .
 وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فللفظها ورماها ، ثم قال : « إن هذا
 العظيم ليخبرني أنه مسموم » ثم دعا بها فاعترفت .
 فقال : « ما حملك على ذلك » ؟ .
 قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، قلت إن كان ملكا استرحمت
 معه ، وإن كان نبياً فسيخبر .
 فجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ! !
 وملت بشر من أكلته التي أكل .

حصار وادي القرى

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، انصرف إلى وادي
 القرى ، فحاصر أهله ليالي ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة .

ينامون عن صلاة الصبح !

لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، فكان ييمض
 الطريق قال من آخر الليل : « مَنْ رَجُلٌ يَحْفَظُ عَلَيْنَا الْفَجْرَ لِمَلْنَا نَنَامُ ؟ » .
 قال بلال : أنا يا رسول الله أحفظه عليك .
 فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل الناس ، فناموا .
 وقال بلال يصلي ، فصلى ما شاء الله عز وجل أن يصلي ، ثم استند إلى بعيره ،
 واستقبل الفجر برمته ، فغطته عينه ، فنام ، فلم يوقظهم إلا من الشمس .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه هب ، فقال : « ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ » .

قال : يا رسول الله ، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك . قال : صدقت . فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس . فلما سلم وأقبل على الناس فقال : « إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها فإن الله تبارك وتعالى يقول : أقم الصلاة لذكرى » . وكان فتح خيبر فى صفر من السنة السابعة من الهجرة .

النساء يشتركون فى الغزو

وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء من نساء المسلمين ، فأعطاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفىء ، ولم يضرب لهن بسهم . رَوَوْا عن امرأة من بنى غفار : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة من غفار .

فقلنا : يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ؟ - وهو يسير إلى خيبر - فنداوى الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا ؟ . فقال : « على بركة الله » .

قالت : فخرجنا معه ، وكنت فتاة حدثه ، فأردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رَحْلِهِ .

قالت : فوالله لنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح ، وأنا نخ ، ونزلت عن حقيبة رَحْلِهِ ، وإذا بهادمٌ منى ، وكانت أول حيضةٍ حضتها .

قالت : فتقبضتُ إلى الناقة واستحييتُ ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بى ، ورأى الدم ، قال : « مالك ؟ ألمالكِ نفستِ ^(١) » .

قالت : نعم .

قال : فأصلي من نفسك ، ثم خُذِي إناءاً من ماء فاطرحي فيه ملحاً ،
ثم اغسلي به ما أصابت الحقية من الدم ، ثم عودي لمركبك .

قالت : فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، أعطانا من النخيل
وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها ، وعلقها بيده في عنقي ، فوالله
لا تفارقني أبداً .

فكانت في عنقها حتى ماتت ! .

وهكذا كان الصعاليك الجليلات يشتركن في الغزو مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وكان صلى الله عليه وسلم يعطينهم مما أفاء الله عليه .

قدوم جعفر من الحبشة

ثم إن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم فتح خيبر .

فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه ، والتزمه ، وقال : « ما أدرى
بأيّهما أنا أمسرُّ ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟ » .

وكان معه رجال ونساء ممن أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ،
عمر بن أمية فحملهم في سفينتين ، فقدم بهم عليه صلى الله عليه وسلم ، وهو
بخيبر بعد الحديبية .

العودة من خيبر

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر ، أقام بها
شهرين ربيع ، وجُمَادَيَيْن ، ورجبا ، وشعبان ، ورمضان ، وشوالا
يبعث فيما بين ذلك سراياه .

عُمَرَةُ الْقَضَاءُ

ثم خرج في ذى القعدة ، في الشهر الذي صدّه فيه المشركون ، معتبرا عمرة القضاء ، مكان عمرته التي صدوه عنها .

لأنهم صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة في الشهر الحرام من سنة ست ، فاقترض رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة في ذى القعدة في الشهر الحرام ، الذي صدوه فيه من سنة سبع .

وخرج معه المسلمون ممن كان صُد معه في عمرته تلك ، وهي سنة سبع فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه .

وتحدثت قريش بينها أن محمدا وأصحابه في عُسرَةٍ وجهْد وشِدَّة .

عن ابن عباس قال : صَفُّوا له عند دار النَّدْوَةِ لينظروا إليه وإلى أصحابه .

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم — المسجد اضطجع^(١) بردائه ،

وأخرج عَصِدَهُ اليمنى ثم قال : « رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة » .

ثم استلم الركن ، وخرج يهرول^(٢) ويهرول أصحابه معه .

حتى إذا واره البيت منهم ، واستلم الركن اليماني ، مشى حتى يستلم

الركن الأسود .

ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ، ومشى سائرهما .

وحين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في تلك العمرة ، دخلها

وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام^(٣) ناقته يقول :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ خَلُّوا فَكُلُّ الْخَسِيرِ فِي رَسُولِهِ

(١) الاضطجاع : أن يدخل على بعض رداءه تحت عَصِدِهِ اليمنى ويجعل طرفه على

منكبه الأيسر .

(٢) الهرولة : فوق المشى ودون الجرى .

(٣) الخطام : الجبل الذي تقاد به الناقة .

زواج ميمونة بنت الحارث

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك ، وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب .

وكانت ميمونة جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل ، فجعلت أم الفضل أمرها إلى زوجها العباس ، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصدقها عنه أربعمئة درهم .

وذكروا أنه لما انتهت إليه خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، وهي راكبة بعيراً ، قالت : الجمل وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيها نزلت الآية (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) .

قريش تطلب إليه الرحيل !

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثاً ، فأتاه حوَيْطِب بن عبد العُزَي ، في نفر من قريش في اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فقالوا له : إنه قد اتفقى أجلك ، فاخرج عنا .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وما عَلَيْكُمْ لو تركتموني فأعُرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه ؟ » .
قالوا : لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ثم انصرف إلى المدينة في ذي الحجة .
فأنزل الله عز وجل عليه : (لقد صدَقَ الله رسوله الرؤيا بالحق لتَدْخُلَنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاء الله آمَنِينَ رؤُسَكُمْ ومُقَصِّرِينَ مَحَلِّينَ لَا تَخَافُونَ ...) .

قبل فتح مَكَّة

عمرو بن العاص يأتي مسلماً !

نحن في أوائل سنة ثمان من الهجرة .

وها هو عمرو بن العاص يأتي مسلماً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان ذلك في صفر سنة ثمان من الهجرة .

يقول عمرو : فابتعت بميراً ، وخرجت أريد المدينة ، حتى صررت على سر الظهران ، ثم مضيت حتى إذا كنت بالهدة ، فإذا رجلان قد سبقاني بغير كثير ، يريدان منزلاً ، وأحدهما داخل في الخيمة ، والآخر يمسك الراجلتين :

قال : فنظرت ... فإذا خالد بن الوليد .

قلت : أين تريد ؟

قال : محمداً ، دخل الناس في الإسلام ، فلن يبق أحيد به طعم : والله لو أقت لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع في مغارتها .

قلت : وأنا والله قد أردت محمداً ، وأردت الإسلام !

نفرج عطاء بن طلحة ، فرحب بي ، فتنزلنا جميعاً في المنزل .

ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة ... فما أنسى قول الرجل لقيناه يقول : قد أعطت مكة المقادة بمد هذين .

وظننت أنه يعني ، ويعني خالد بن الوليد ، وولي مدبراً إلى المسجد مريماً ، فظننت أنه بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومنا ، فكان كما ظننت .

وأبجنا بالهجرة ، فلبسنا من صالح ثيابنا ، ثم نودى بالمعصر ، فانطلقنا على أظلمنا عليه . . . وإن لوجه تهلاً ، والمسلمون حوله قد مسروا بإسلامنا .

فتقدم خالد بن الوليد فبايع .

ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع .

ثم تقدمت فوائله ما هو إلا أن جلست بين يديه ، فما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه .

فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ، ولم يحضرنى ما تأخر ، فقال :
« إن الإسلام يحب ما كان قبله ، والهجرة تحب ما كان قبلها » .

خالد يروى قصة إسلامه !

عن خالد بن الوليد قال : لما أراد الله بي ما أراد من الخير ، قذف في قلبي الإسلام ، وحضرنى رشدى ، فقلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ، فأبى في موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أنى موضع في غير شىء ، وأن محمداً سيظهر .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية ، خرجت في خيل من المشركين ، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه بمسفان ، فقامت بإزائه ، وتعرضت له ، فصلى بأصحابه الظهر أمامنا .
فهممنا أن نغير عليهم ، ثم لم يعزم لنا .

فاطلع على ما فى أنفسنا من الهم به ، فصلى بأصحابه صلاة العصر ، صلاة الخوف .
فلما صالح قريشاً بالحديبية ، ودافعتهم قريش بالرواح ، قلت فى نفسى :
أى شىء بقى ؟

أين أذهب ؟ . إلى النجاشى ؟ فقد اتبع محمداً ، وأصحابه عنده آمنون !
فأخرج إلى هرقل ، فأخرج من دينى إلى نصرانية أو يهودية ، فأقيم فى عجم ،
فأقيم فى دارى بمن بقى ؟

فأنا فى ذلك ، إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى عمرة القضاء .
فتغييت ، ولم أشهد دخوله .

وكان أخى الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضاء .

فطلبنى ، فلم يجدنى ، فكتب إلى كتاباً ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فإنى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام ، وعقلك عقلك ؟ ومثل الإسلام جهله أحد ؟ ! . وقد سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك وقال : أين خالد ؟ . قلت يأتى الله به . فقال : « مثله جهل الإسلام ؟ ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين كان خيراً له ، ولقد مناه على غيره » فاستدرك بأخى ماقد فأتك من مواطن صالحة .

فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج ، وزادنى رغبة فى الإسلام ، ومررنى سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى
فخرجت إلى منزلى ، فأمرت براحتى فخرجت بها ، إلى أن لقيت عثمان ابن طلحة . . .

فخرجنا سحرًا ، فلم يطلع الفجر حتى التقينا بياجب ، فغدونا حتى انتهينا إلى الهدة ، فوجد عمرو بن العاص بها . قال : مرحباً بالقوم ، قلنا : وما أخرجك ؟ . فقال : وما أخرجكم ؟ . قلنا : الدخول فى الإسلام ، واتباع محمد صلى الله عليه وسلم . قال : وذلك الذى أقدمنى .

فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة ... فلقينى أخى ، فقال : أصرع ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر بك ، فسر بقدمك ، وهو ينتظركم . فأسرعنا المشى ، فاطلعت عليه ، فما زال يتبسم إلى ، حتى وقفت عليه . فسلمت عليه بالنبوة ، فرد على السلام بوجه طلق .
قلت إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله .
فقال : « تعال » .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذى هدأك ، قد كنت

أرى لك عقلا ، رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير » .
 قلت : يا رسول الله ، إني قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن ،
 عليك معانداً للحق ، فادعوا الله أن يغفرها لي .
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإسلام يحب ما كان قبله » .
 قلت : يا رسول الله على ذلك ؟ .
 قال : « اللهم اغفر لخالد بن الوليد ، كل ما أوقع فيه من صد عن سبيل الله » .
 قال خالد : وتقدم عثمان وعمر و قبايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
 قدومنا في صفر سنة ثمان ، والله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بي
 أحداً من أصحابه فيما حربه .
 وهكذا . . . دخل خالد الإسلام . . . ليكون من بعد ذلك أعظم قائد
 حربي شهدته الأرض !

وكذلك تتجلى عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم السياسية .

غزوة مؤتة

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيقه ذى الحجة بالمدينة ، والمحرم ، وصفر ،
 وشهرى ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام .
 بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة
 ثمان من الهجرة .

واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إن أصيب زيد فجعفر بن أبي
 طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبداً الله بن رواحة على الناس » .
 فتجهز الناس ، ثم تهيئوا للخروج .
 وهم ثلاثة آلاف .

فلما حضر خروجهم ، ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وسلموا عليهم .

ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشيعهم .

٣٠٠٠٠٠ من الروم !

ثم مضوا ، حتى نزلوا معان من أرض الشام .

فبلغ الناس أن هرقل ، قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ، وانضم إليهم مائة ألف آخرين من المستعربة .

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا ليلتين يفكرون في أمرهم .

وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضي له .

فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال : يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ، ولا قوة ، ولا كثرة ، ولا قنائهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فإنا هي إحدى الحسنيين : إما ظهور وإما شهادة .

فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة .

فمضى الناس ، حتى إذا كانوا بحدود البلقاء ، لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب .

ثم دنا العدو ... فتعباً لهم المسلمون .

ثم التقى الناس ، واقتتلوا ...

فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى هلك في رماح القوم .

ثم أخذها جعفر ، فقاتل بها ، حتى إذا ألحمت القتال ، رمى بنفسه عن فرس له شقراء ، فمقرها ، ثم ترجل ، وقاتل القوم حتى قتل . وهو يقول :

ياحبذا الجنة واقترابها طيبةً وبارداً شرابها

هذه هي بطولة جعفر !

وكان جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت
فاحتضنه بعَضْدِيهِ^(١) حتى قتل رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .
ويقال : إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة ، فقطعه نصفين .

الشهيد الثالث

فلما قتل جعفر ، أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها - وهو على
فرسه - فجعل يستنزل نفسه ، ويتردّد بعض التردد .
ثم نزل ... ثم أخذ سيفه فتقدم ، فقاتل حتى قُتل .

خالد يأخذ الراية

ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم ، فقال : يا معشر المسلمين ، اصطلحوا على
رجل منكم .
قالوا : أنت .

قال : ما أنا بفاعل .

فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم ، وحاشى
بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف الناس .
ولقد كانت عبقرية عالية لخالد بن الوليد رضى الله عنه أن يخلص بثلاثة
آلاف من المسلمين من بين مائتي ألف من الأعداء .

رووا أنه لما قتل ابن رواحة مساء ، بات خالد بن الوليد ، فلما أصبح غدا ،
وقد جعل مقدمته ساقته ، وساقته مقدمته ، وميمينته ميسرته .

فأنكر الروم ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا : قد جاءهم مدد !
فرعبوا وانكشفوا منهزمين !

(١) حضن الرجل : ما تحت العضد إلى أسفل .

إنه سيف من سيوفك

ومن حديث طويل : « ... فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، فأمر فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أخبركم عن جيشكم هذا ، إنهم انطلقوا قتلوا العدو ، قتل زيد شهيداً ، فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيداً ، فاشهد له بالشهادة واستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً ، فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ، ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه سيف من سيوفك أنت تنصره » فمن يومئذ سمي خالد سيف الله .

فلما انصرف خالد بالناس ، أقبل بهم قافلاً .

فلما دنوا من حول المدينة ، تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون .

وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون : يا فرار فررتم في سبيل الله ؟ ! .

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى » .

غزوة ذات السلاسل

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام ، وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بني يلى ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يتألفهم حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل - وبه سميت تلك الغزوة - خاف من كثرة عدوه . فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده .

فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين الأولين . فانتدب
أبو بكر وعمر في جماعة من سراة المهاجرين ، وأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليهم أبا عبيدة بن الجراح .
فلما قدموا على عمرو قال : أنا أميركم ، وأنا أرسلت إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أستمدد بكم .
فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك ، وأبو عبيدة أمير المهاجرين .
فقال عمرو : إنما أتم مدد أمددته .
فلما رأى ذلك أبو عبيدة ، وكان رجل حسن الخلق لين الشيمة ، قال : تعلم
يا عمرو أن آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « إذا قدمت
على صاحبك فتطاوعا » ، وإنك إن عصيتني لأطيعنك .
فسلم أبو عبيدة الإمارة لعمر بن العاص .
ولما آتب إلى عمرو بن العاص أبو عبيدة بن الجراح ، فصاروا خمسمائة فصاروا
الليل والنهار ، حتى وطئ بلاد بلي ودوخها .
وكلما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع ، فلما سمعوا بك
تفرقوا ، حتى انتهى إلى أقصى بلاد بلي .
وحمل المسلمون عليهم ، فهزموا ، وأعجزوا هرباً في البلاد ، وتفرقوا ، ودوخ
عمرو ما هناك .

فَنَحْ مَكَّةَ

أسباب فتح مكة

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعثه إلى مؤتة جمادى الآخرة ورجباً .

ثم إن بني بكر عدت على خزاعة .

وقد مضى أنه لما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش كان فيما شرطوا له وشرط لهم ، أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه ، فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو بكر من خزاعة ، وأراد أن يصيبوا منهم ثأراً .

واعتدت بنو بكر على خزاعة وقاتلتها ، وقاتل من قريش من قاتل مع بني بكر !

ثم خرج نفر من خزاعة ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة .

أبو سفيان في المدينة

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه ! .

فقال : يا بُنَيَّةُ ، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني ؟

قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت رجل مشرك
نجس ، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم !
قال : والله لقد أصابك يابنية بعدى شر . ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فسلمه فلم يرد عليه شيئاً .

ثم ذهب إلى أبي بكر ، فسلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : ما أنا بفاعل .

ثم أتى عمر بن الخطاب ، فسلمه ، فقال : أأنا أشفع لكم إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ؟ ! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به .

ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعندها حسن بن علي يدب بين يديها فقال : يا علي إنك أمس القوم
بى رحماً ، وإني قد جئت فى حاجة فلا أرجع كما جئت خائباً ، فاشفع لى إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! ! والله لقد عزم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ، ما نستطيع أن نكلمه فيه .

فالتفت إلى فاطمة فقال : يا ابنة محمد ، هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجير
بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟

قالت : والله ما بلغ بنى ذاك أن يجير بين الناس ، وما يجير أحد على رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

قال : يا أبا الحسن ، إني أرى الأمور قد اشتدت على فأنصحنى .

قال : والله ما أعلم لك شيئاً يفنى عنك شيئاً ، ولكنك سيد بنى كنانة ،
فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك .

قال . أو ترى ذلك مغنياً عنى شيئاً ؟

قال : لا والله ما أظننه ، ولكنى لأجد لك غير ذلك .

فقام أبو سفيان إلى المسجد ، فقال : يا أيها الناس ، إني قد أجزت بين
الناس ، ثم ركب بعيره ، فانطلق .

فلما قدم على قريش قالوا : ما وراءك ؟ .

قال : جئت محمداً ، فكلمته ، فوالله ما رد على شيئاً ، ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى العدو ، ثم أتيت علياً فوجدته ألين القوم ، وقد أشار على بشيء صنعته ، فوالله ما أدري هل ينفي ذلك شيئاً أم لا ؟ .

قالوا : وبم أمرك ؟ .

قال : أمرني أن أجير بين الناس ، ففعلت .

قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ .

قال : لا .

قالوا : ويلك ! . والله إن زاد الرجل على أن لعب بك ، فابتنى منك ما قلت ؟ .

قال : لا والله ما وجدت غير ذلك .

الامر بالتعبئة

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالتعبئة . وأمر أهله أن يجهزوه . فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها ، وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أي بنية أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه ؟ .

قالت : نعم ، فتجهز .

قال : فأين تُرَبِّينه يُريد ؟ .

قالت : والله ما أدري .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة .

وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش

حتى نبغتها في بلادها » .

فتجهز الناس ...

كتاب إلى قريش

لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش ، يحذرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير إليهم .

ثم أعطاه امرأة ، وجعل لها أجراً ، على أن تبغضه قريباً .

فعلته في رأسها ، ثم فلتت عليه قرونها ، ثم خرجت به .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء ، بما صنع حاطب .

فبعث على بن أبي طالب والزيير بن العوام فقال : « أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش ، يحذرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم . فخرجوا حتى أدركاها ... فلستنزلاها ، فالتمسا في رحلها فلم يجدوا شيئاً .

قال لها على بن أبي طالب : إني أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبتنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك .

فلما وأت الجدم منه قالت : أعرض .

فأعرض ، فخلت قرون رأسها ، فلستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه .

فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطباً ، فقال : « يا حاطب ما حملك على هذا ؟ » .

قال : يا رسول الله ، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكنني كنت امرأة ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليهم .

قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعني فلا ضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد أطلع على أصعب بدر يوم بدر فقال : اعلموا ما شئتم ، فقد غفرت لكم » .

فأنزل الله تعالى في حاطب : (يا أيها الذين آمنوا لا تخذلوا مدوى وعدكم أولياء ثلقون إليهم بالوعدة) .

الخروج في رمضان

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره ، واستخلف على المدينة لبارئهم كلثوم بن حصين .

وخرج لشر مضين من شهر رمضان من سنة ثمان من الهجرة .
فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكديد أفطر .

ثم مضى حتى نزل مرة الظهران ، في عشرة آلاف من المسلمين .
وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلف منهم أحد .

قصة إسلام العباس بن عبد المطلب

وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق ، لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقبياً بمكة على سقايته ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض .
وهكذا خرج العباس مهاجراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده في أثناء الطريق ، وهو ذاهب إلى فتح مكة .

قصة إسلام أبي سفيان

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الظهران ... قال العباس ابن عبد المطلب : قتلت : واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة ، قبل أن يأتوه فيستأمنوه : إياه لهلاك قريش إلى آخر الدهر .
قال : فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت

عليها حتى جئت الأراك ، قلت : لعل أجند بعض الخطابة ، أو صاحب لبن ،
أو ذا حاجة يأتي مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا
إليه فيستأمنوه ، قبل أن يدخلها عليهم عنوة .

قال : فوالله إني لأسير عليها ، وأتمس ماخرجت له ، إذ سمعت كلام أبي
سفيان ، وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان .

وأبو سفيان يقول : مارأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً ؟

فيقول بديل : هذه والله خزاعة ، حستها الحرب .

فيقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل ، من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها .

قال العباس : فعرفت صوته ، قلت : يا أبا حنظلة ؟

فعرف صوتي ، فقال : أبو الفضل ؟

قلت : نعم .

قال : مالك فذاك أبي وأمي ؟

قلت : ويحك يا أبا سفيان ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس
واصبح قريش والله ؟

قال : فما الحيلة فذاك أبي وأمي ؟

قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب في عجز هذه البعلة حتى
آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأمنه لك .
فركب خلفي ورجع صاحبه .

فجئت به ، كلما مررت بنار من نيران المسلمين ، قالوا : من هذا ؟

فإذا رأوا بعلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا عليها قالوا : عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم على بعلة .

حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : من هذا ؟ !

وقام إلي ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدوا الله ؟ !

الحمد لله الذى أمكن منك ، بغير عقد ولا عهد .

ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضت البغلة ، فسبقته بما يسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء .

فالتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان ، قد أمكن الله منه ، بغير عقد ولا عهد ، فدعنى فلا ضرب عنقه .

قلت : يا رسول الله إني قد أجرته ، ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتنى به » .

فذهبت به إلى خيمتى ، فبات عندى ، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ » .

قال : « بآبى أنت وأمى ، ما أحلك وأكرمك وأوصلك !!! » . والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره ، لقد أغنى عنى شيئاً بعد .

قال : « ويحك يا أبا سفيان !! . ألم يأن لك أن تعلم أننى رسول الله ؟ »

قال : « بآبى أنت وأمى ، ما أحلك وأكرمك وأوصلك !!! » . أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئاً .

فقال له العباس : « ونحك أسلم ، واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قبل أن تضرب عنقك .

فشهد شهادة الحق ، فأسلم .

قال العباس : قلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فأجمل له شيئاً .

قال : « نعم . . من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .

عرض الجيش

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عباس ، احبسه بمضيق الوادي ، عند خَطْمِ الجبل ^(١) ، حتى تمر به جنود الله فيراها » .
قال : نخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي ، حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحسه .

ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس من هذه ؟ ! فأقول : سليم ، فيقول : مالي وسليم ؟ .
ثم تمر القبيلة فيقول : يا عباس من هؤلاء ؟ . فأقول : مزينة ، فيقول : مالي والمزينة ؟ .
حتى نفذت القبائل ، ما تمر قبيلة إلا يسألني عنها ، فإذا أخبرته بهم قال : مالي ولبنى فلان .

حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء .
وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .
فيها المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم ، لا يُرى منهم إلا الخدق من الحديد .
فقال : سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ !! .
قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في المهاجرين والأنصار .
قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما .
قلت : يا أبا سفيان إنها النبوة .
قال : فنعم إذن .

(١) أتف الجبل ، وهو شيء يخرج منه يضيق به الطريق .

قلت : السرعة إلى قومك .

هند تأخذ بشاربه !

حتى إذا جاءهم ، صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ، هذا محمد ، قد جاءكم
فيما لا قبل لكم به ، فن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .
فقامت إليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ...

فقلت : اقتلوا الحميت^(١) الدسم الأحمس ، قبح من طليعة^(٢) قوم !! .

قال : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم ! . فإنه قد جاءكم مالا قبل لكم
به ... فن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

قالوا : قاتلك الله ، وما تغني عنا دارك ؟ ! .

قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن . ومن دخل المسجد فهو آمن .

ففرق الناس إلى دورهم ، وإلى المسجد الحرام .

التواضع لله

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذى طوى ، وقف على راحلته
متمعماً ، بنصف بردة حمراء ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليضع رأسه
تواضعاً لله ، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح .

حتى إن عثونته^(٣) ليكاد يمسُّ واسطة الرِّحْلِ ! .

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يدخل مكة دخول الجبارين
المتكبرين ، وإنما دخلها دخول الهداة المتواضعين .

عن أنس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح
وذقنه على راحلته متخشعاً .

(١) الحميت : زق السمن ، والدسم : الكثير الودك ، والأحمس : الشديد اللحم -

تريد تشبيهه به لفخامته وسمته .

(٢) طليعة القوم . الذى يتقدمهم ، أو يجرسهم . (٣) ذقنه .

ترتيب الجيش

وقالوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين فرّق جيشه من ذى طوى .
أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كُدّي ، وكان الزبير على
الجنبّة اليسرى .

وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء .

وقالوا إن سعدا - حين وجه دخلا - قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل
الحرمة ، فسمعها رجل من المهاجرين فقال : يا رسول الله ، اسمع ما قال سعد بن
عبادة ، مانأمن أن تكون له في قريش صولة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب : « أذركه نخذ
الراية منه ، فكن أنت الذى تدخل بها » .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فدخل من أسفل مكة
في بعض الناس .

وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ، ينصب لمكة بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذاخر ، حتى نزل بأعلى مكة
وضربت له هناك قبته .

وناوش نفر قليل من المشركين ، وناوشهم خالد بن الوليد .

وأصيب من المشركين ناس قريب من اثني عشر رجلا ، ثم انهزموا .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين ، حين
أمرهم أن يدخلوا مكة ، ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم . إلا أنه قد عهد في نفر معاهم .
أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة .

خطبته يوم فتح مكة

لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وإطمان الناس ، خرج

حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته ، فلما قضى طوافه وقف على باب الكعبة ، وقد اجتمع له الناس في المسجد ، فقال : « لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يندعى ، فهو تحت قدمي هاتين ، إلا صدانة البيت ، وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا فيه الدية مغلفة ، مائة من الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها .

« يامعشر قريش ، وإن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتظلمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب .

ثم تلا هذه الآية : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى » الآية كلها .

ثم قال : « يامعشر قريش ، ماترون أننى فاعل فيكم ؟ » .

قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم .

قال : « اذهبوا ، فاتم الطلقاء » .

هالك مفتاحك يا عثمان !

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد .

فقام إليه على بن أبي طالب ، ومفتاح الكعبة في يده ، قال : يا رسول الله

اجمع لنا الحجابة مع السقاية ، صلى الله عليك ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين عثمان بن طلحة ؟ » .

فدعى له ، فقال : « هالك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء » .

كيف كان البيت ؟

رووا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه

صور الملائكة وغيرهم .

فرأى إبراهيم عليه السلام ، مُصَوِّراً ، في يده الأوزلام ، يستقسم بها ! .

قال : قَاتَلَهُمُ اللهُ ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ؟ . ما شأنُ إبراهيم والأزلام ؟ . (ما كان إبراهيمُ يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) .
ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

جاء الحق وزهق الباطل

وعن ابن مسعود قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد » . (البخارى)
وفي رواية مسلم قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح مكة ، وعلى الكعبة ثلاثمائة صنم فأخذ قضيبه ، فجعل يهوى إلى الصنم ، وهو يهوى ، حتى مر عليها كلها .

وهكذا ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت من تلك النجاسات ، وتلك العظافات التي جعلتها قریش وغيرها بيت الله الحرام .

إن الله حرم مكة

فلما كان من الغد يوم الفتح ، اعتدت خزاعة على رجل من هذيل ، قتلوه وهو مشرك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال : « يا أيها الناس ، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرامٌ من حرامٍ إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا ، ولا يعصد^(١) فيها شجراً ، لم تحلل لأحد كان قبلى ، ولا تحل لأحد يكون بعدى ، ولم تحل لي إلا هذه الساعة ، غضباً على أهلها ، ألا ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس ،

(١) يعصد : يقطع .

فليبلغ الشاهدُ منكم الغائب ، فمن قال لكم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل فيها ، فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله ، ولم يحلها لكم ، يامشركم خزاعة ارفضوا أيديكم عن القتل فلقد كثر القتل ... » .

ماذا قلتم ؟

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم — حين افتتح مكة ودخلها — قام على الصفا يدعو الله ، وقد أهدت به الأنصار .

فقالوا فيما بينهم : أترون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فتح الله عليه أرضه وبلده ، يقيم بها ؟

فلما فرغ من دعائه قال : « ماذا قلتم ؟ » .

قالوا : لا شيء يا رسول الله .

فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « معاذ الله ، الحيا محياكم ، والمات مماتكم » .

سرايا تدعو إلى الله

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حول مكة السرايا ، تدعو إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال .

وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً .

فوطئ بني جذيمة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا .

ووضع الناس السلاح لقول خالد .

فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكثفوا ، ثم عرضهم على

السيف ، فقتل من قتل منهم !

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رفع يديه إلى السماء
ثم قال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » .

اللهم إني أبرأ إليك

ثم انفلت رجل من القوم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأخبره الخبر .

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب فقال : « يا علي
أخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم ، واجمل أمر الجاهلية تحت قدميك » .
فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأعطاهم التعويضات عما أصابهم فوق ما يطلبون ، ثم رجع إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال : « أصبت وأحسنت » .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستقبل القبلة ، قائماً ، شاهراً يديه
حتى إنه يرى ماتحت منكبيه ، يقول : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد
ابن الوليد » . ثلاث مرات .

خالد يهدم العزى

ثم بث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى .
وكانت بيتا يعظمه قريش وكنانة ومضر كلها .
فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

انتهاء المعركة

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة
يقصر الصلاة .

كان فتح مكة لثلاث ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة .

غزوة حُنين

نحن في السنة الثامنة من الهجرة بعد فتح مكة ...
لما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما فتح الله عليه من
مكة ، جمعها مالك بن عوف ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ، واجتمعت
نصر ، وجُشم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال وهم قليل .
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة ، مع عشرة
آلاف من أصحابه ، الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة .
فكانوا اثني عشر ألفا ...

واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتّاب بن أسيد على مكة أميرا ،
ثم مضى على وجهه ، يريد لقاء هوازن .

الهزيمة!

عن جابر بن عبد الله : لما استقبلنا وادي حنين ، انحدرنا في واد من أودية
تهامة أجوف ، إنما ننحدر فيه انحداراً ، وكان في ظلام الصباح قبل أن يتبين ،
وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي ، فكنوا لنا في شعابه^(١) وجوانبه ومضايقه ،
وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا .

فوالله ما راعنا ونحن منحنون إلا الكتاب قد شدوا علينا شدة رجل واحد .
وانفض الناس ، وانهزموا راجعين ، لا يلوى أحد على أحد .

أنا رسول الله

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، ثم قال : « أين أيها
الناس ، هلموا إليّ ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله » .

(١) الشعاب : الطرق الخفية .

قال جابر : فلا شيء ! . حملت الإبل بعضها على بعض فانطلق الناس .
إلا أنه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين
والأنصار وأهل بيته .

شهادة أهل مكة

فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
جُفَاء أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من العداوة .
قال أبو سفيان بن حرب : لانتهى هزيمتهم دون البحر .
وصرخ جيلةُ بن الحنبل : ألا بطل السحر اليوم !

أين أيها الناس ؟

عن العباس بن عبد المطلب : . . . كنت امرأةً جسيما . شديد الصوت ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - حين رأى مارأى من الناس : « أين
أيها الناس ؟ » . فلم أر الناس يلوون على شيء ، فقال : « يا عباس ، اصرخ
يلمعشر الأنصار ، يامعشر أصحاب السَّمرَةِ » ، فأجابوا لبَّيك لبَّيك . فيذهب الرجل
ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ دِرْعَهُ فيَقْذِفُهَا في عنقه ، ويأخذ سيفه
وترسه ، ويقتحم عن بعيره ، ويحلى سبيله ، فيؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

الآن حمى الوطيس

حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس ، فاقتتلوا .
فاشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه ، فنظر مجتلد^(١) القوم وهم
يجتلدون ، فقال : « الآن حمى الوطيس^(٢) » .

(١) مجتلد القوم : موقع الحرب . (٢) حمى الوطيس : حميت الحرب .

وتقاتل الناس ، فما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم ، حتى وجدوا الأسارى
مُكْتَفَيْن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وهزم الله المشركين من أهل حنين ، وأمكن رسول الله صلى الله عليه
وسلم منهم .

ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ، ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر
بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة .
وأنزل الله عز وجل في يوم حنين (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ
حَنِينٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) إلى قوله (وذلك جزاء الكافرين) ...
ثم جمعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حنين وأموالها .

حصار الطائف

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين .
ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريباً من الطائف ف ضرب
به معسكره .

فقتل ناسٌ من أصحابه بالنبل ، وذلك أن الجنود اقتربوا من حائط الطائف ،
فكانت النبل تنالهم .

ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم .
فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل ، وضع معسكره عند مسجده الذي
بالطائف اليوم ، فحاصروهم بضعاً وعشرين ليلة .

رسول الله أول من رمى بالمنجنيق

ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق ، فكان صلى الله عليه وسلم
أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف .

ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يؤذن بالرحيل ، فاذن عمر بالرحيل .
وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف بعد قتال وحصار .

أبناءؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف ، حتى نزل الجعرانة ، فبين معه من الناس ، ومعه من هوازن سبي كثير .

وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ، ومن الإبل والشاء مالا يدرى ما عدته .

وأتى وفد هوازن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أهل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامن علينا من الله عليك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبناءؤكم ونساءؤكم أحب إليكم أم أموالكم » ؟ .

فقالوا : يا رسول الله ، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا ؟ ! بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب إلينا .

فقال لهم : « أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب ، فهو لكم ، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس ، فقوموا فقولوا إنا نستشفع برسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في أبنائنا ونسائنا ، فسأعطيك عند ذلك ، وأسأل لكم » .

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر ، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم » .

فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

إسلام مالك بن عوف

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف ، ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخبروا مالكاً إنه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل » .
فأتى مالك بذلك ، فخرج إليه من الطائف ليلاً ، فجلس على فرسه ، فركضه ... فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركه بالجعرانة ، فرد عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل .
وأسلم فحسن إسلامه !! .

وكان ذلك من جميل سياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم للنفوس .
وقال حين أسلم :

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ فِي النَّاسِ كَلَامِهِمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ
فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً ، حتى ضيق عليهم .

توزيع فيء هوازن

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد سبايا حنين إلى أهلها ركب ، وأتبعه الناس يقولون : يا رسول الله ، اقسم علينا فيئاًنا من الإبل والغنم ، حتى الجأؤهم إلى شجرة ، فاخطففت عنه رداءه ، فقال : « ردوا ورا على ردائي أيها الناس فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نَعَمًا لقسمته عليكم ، ثم ما ألفتيموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً » .

ثم قام إلى جنب بعيره ، فأخذ وبرة من سناميه بين أصبعيه ثم رفعها ، ثم قال : « أيها الناس ، والله ما لي من فيئكم ولا هذه البرة إلا الخمس . والخمس مردود عليكم ... » .

المؤلفة قلوبهم

وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤلفة قلوبهم ، وكانوا أشرفاً من
أشراف قريش ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم .
فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ،
وأعطى حَكَم بن حزام مائة بعير ، وأعطى الحرث بن الحرث بن كلدة
مائة بعير ...
وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى في قريش وقبائل العرب
ولم يعط الأنصار شيئاً ! .

اللهم ارحم الأنصار

لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش ،
وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد الأنصار في أنفسهم ،
حتى كثرت منهم القالة^(١) ، حتى قال قائلهم : لقي — والله — رسول الله صلى
الله عليه وسلم قومه .

فدخل عليه سعد بن عباد ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحى من الأنصار
قد وجدوا عليك في أنفسهم . لما صنعت في هذا النىء الذى أصبت ، قسّمت في
قومك ، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب . ولم يك في هذا الحى من الأنصار
منها شيء ! .

قال : « فإين أنت من ذلك يا سعد ؟ » .

قال : يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومي ؟ .

قال : « فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة^(٢) » .

فخرج سعد ؛ فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة .

فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم .

(١) القالة : الكلام الردى . (٢) الحظيرة : مكان يتخذ للابل والنم .

فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار .
فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ،
ثم قال : « يامعشر الأنصار ، ما قاله ^(١) بلغتنى عنكم ؟ وجدة ^(٢) وجدتموها على
فى أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلّالاً فهذا كم الله ، وعالة ^(٣) فأغنناكم الله ، وأعداء فألف
الله بين قلوبكم ؟ » .

قالوا : بلى ، الله ورسوله أمّن وأفضل .

ثم قال : « ألا تحبوننى يامعشر الأنصار ؟ » .

قالوا : بماذا نبجيك يا رسول الله ؟ . الله ورسوله لمن والفضل .

قال صلى الله عليه وسلم : « أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم ، أتيتنا
مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك ^(٤) .
أوجدتم يامعشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة ^(٥) من الدنيا تألفت بها قوماً
ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ . ألا ترءون يامعشر الأنصار أن يذهب
الناس بالنشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد
بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً ، وسلكت
الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ،
وأبناء أبناء الأنصار » .

فبكى القوم حتى بلوا لحام بالدموع ، وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحفظاً .

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرقوا .

(١) القالة : الكلام الردى .

(٢) جدة : وموجدة وهى العقاب .

(٣) عالة : فقراء .

(٤) فأسيناك : أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا .

(٥) لعاعة : بقلة حراء ناعمة ، هبه بها زهرة الدنيا ونعيمها .

العودة إلى المدينة

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمراً ، يريد زيارة البيت ، وأمر ببقايا النخيل فحُبس بمر الظهران .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته ، انصرف راجعاً إلى المدينة .

واستخلف عتّاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ، ويعلمهم القرآن ، واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقايا النخيل .

وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، فقدم المدينة في بقية ذي القعدة .

غزوة تبوك

نحن في السنة التاسعة من الهجرة .

ها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيم بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب ،
ثم يأمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم .
وذلك في زمن عُسرة من الناس ، وشدة من الحر ، وجذب من البلاء ،
وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، وبكرهون الخروج
على الحال ، من الزمان الذي هم عليه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلما يخرج في غزوة إلا كفى بها ،
وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يقصده ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه
بينها للناس ، لبعد المسير ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذي يتجه إليه ، ليتأهب
الناس لذلك أهبطه ، فأمر الناس بالتعبئة ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جدَّ في سفره ، وأمر الناس بالجهاز
والانكماش ، وحض أهل الغنى على النفقة والحمل في سبيل الله ، فحمل
رجال من أهل الغنى ، واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم
ينفق أحد مثلها .

اللهم ارض عن عثمان

أنفق عثمان بن عفان في جيش العُسرة ، في غزوة تبوك ، ألف دينار
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ اَرْضَ عَنْ عُثْمَانَ ، فَإِنِّي
عَنْهُ رَاضٍ » .

لا أجد ما أحملكم عليه

ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم البكاءون
وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم ، فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكانوا أهل حاجة ، فقال : « لأجد ما أحلكم عليه » فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون .

وجاءه المَعْدَرُونَ من الأعراب فاعتذروا إليه ، فلم يعذرهم الله تعالى .

تخلف بعض المسلمين

ثم استتبَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره وأجمعَ السير .

وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تخلفوا عنه ، عن غير شك ولا ارتياب ، منهم كعب بن مالك ، ومؤادة بن ربيع ، وهلال بن أمية ، وأبو خيثمة ، وكانوا نفر صدق لا يتهون في إسلامهم .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ضرب معسكره على نَذِيَّةِ الدَّاعِ .

فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبيّ ، فيمن تخلف من المنافقين ، وأهل الريب .

لاتدخلوا بيوت الذين ظلموا

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر ، فلما مر به غطى وجهه بثوبه ، واستعجل راحته ، ثم قال « لاتدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم مثل ما أصابهم » .

فلما أصبح الناس ولا ماء معهم ، شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء .

وقال نفر من المؤمنين لرجل معروف نفاقه كان يسير معهم : ونحك !! هل بعد هذا شيء ؟ .

قال : سحابة مارة !

رحم الله أبا ذر

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً ، فجعل يشخف عنه الرجل ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان ، فيقول : « دعوه ، فإن يك منه خير فسيُلحِقَهُ اللهُ تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم اللهُ منه » .

حتى قيل : يا رسول الله ، قد تخلف أبو ذر ، وأبطأ به بعيره ، فقال : « دعوه فإن يك فيه خير فسيُلحِقَهُ اللهُ بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم اللهُ منه » .

وتلوّم أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمّله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزله ، فنظر ناظر من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كن أباذر » .

فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو ذر !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ويموت وحده . ويُبْعَثُ وحده » .

أمان لأهل أيلة

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، أتاه يوحنا بن روبة صاحب أيلة ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه الجزية . وأتاه أهل جرباء ، وأذرح فاعطوه الجزية .

فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتاباً ، فهو عندهم ، فكتب ليوحنا « بسم الله الرحمن الرحيم . هذه أمانة من الله وحمده النبي رسول الله ليُحَنِّتَ بن روبة ، وأهل أيلة ، سفنهم وسياريتهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله

وذمة محمد النبي . ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر . فمن أحدث منهم حدثاً ، فإنه لا يحول ماله دون نفسه . وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر .

إنك ستجده يصيد البقر !

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أكيدر دومة ، وهو أكيدر بن عبد الملك ، كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : « إنك ستجده يصيد البقر » . فخرج خالد ، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفي ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ومعه امرأته .

فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ .

قال : لا والله .

قالت : فمن يترك هذه ؟ .

قال : لا أحد .

فنزل فأمر بفرسه فأمرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حسان .

فركب وخرجوا معه بمطارٍ دهم .

فلما خرجوا تلقّتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته ، وقتلوا أخاه .

وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل قدومه به عليه .

ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته .

مسجد الضرار

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذي أوان ، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار .

وكان أصحاب مسجد الضرار ، قد كانوا أتوه ، وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً ، لذي العلة والحاجة ، والليلة المطيرة ، والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه .

فقال : « إني على جناح سفر وحال شغل . . . ولو قد قدِمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه » .

فلما نزل بذي أوان ، أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومَعْن بن عدي ، فقال : « انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه فاهدماه وحرِّقاه » .

فخرجا سريعين ، فحرِّقاه وهدماه ، وتفرقوا عنه .

ونزل فيهم من القرآن ما نزل : (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرأ وتفرقاً بين المؤمنين) إلى آخر القصة .

الثلاثة الذين خلفوا

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين .

وتخلف أولئك الثلاثة من المسلمين من غير شك ولإنفاق : كعب بن مالك وصرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « لا تُكَلِّمَنَّ أحداً من هؤلاء الثلاثة » .

وأُتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ، ويعتذرون ، فصَفَح عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعذرهم الله ولا رسوله . واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة .

كعب بن مالك يروي قصته

عن كعب بن مالك قال : ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة غزاهما قط ، غير أنى كنت قد تخلفت عنه فى غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحداً تخلف عنها .

وكان من خبرى - حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك - أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة . . .

وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار ، وأحبّت الظلال .

فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجهز المسلمون معه ، وجعلت أغدو لأتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول فى نفسى : أنا قادر على ذلك إذا أردت .

فلم يزل ذلك يتماذى بى ، حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازى شيئاً ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحق بهم .

فغدوت بعد أن خرجوا لأتجهز . فرجعت ولم أقض شيئاً .

ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل ذلك يتماذى بى حتى أسرعوا ، وسبقنى الفزو .

فهمت أن أرتحل فأدركهم وليتنى فعلت ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم يحزنتنى أنى لا أرى إلا رجلاً مطعوناً عليه فى النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء .

ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بقبوك : « ما فعل كعب بن مالك » ؟ .

فقال رجل : يا رسول الله ، حبسه بُرْداه والنظر في عطفية .
فقال معاذ بن جبل : بنس ماقلت ! . والله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيراً .

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً من تبوك حضرتني ،
حزني ، فجعلت أتذكر الكذب ، وأقول : بماذا أخرج من سخطه رسول الله
صلى الله عليه وسلم غداً ؟ . وأستعين على ذلك كل ذي رأى من أهلي ، فلما
قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أشرف قادماً ، ذهب عني الباطل ،
وعرفت أني لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصدقه .

وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ
بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثم جالس للناس .

فلما فعل ذلك جاءه المخلفون ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعة
وثمانين رجلاً ، فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ، وأيمانهم ،
ويستغفر لهم ، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى .

حتى جئت فسلمت عليه ، فتبسم تبسم الغضب ، ثم قال : « تعال » .
فجئت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : « ما خلفك ؟ ألم تكن
ابتعت ظهرك » ؟ .

قلت : إني يا رسول الله ؛ والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت
أني سأخرج من سخطه بعذر ، لقد أعطيت جدلاً ، ولكن والله لقد علمت لئن
حدثتك اليوم حديثاً كذباً لترضينني ، وليوشكن الله أن يسخطك علي ،
ولئن حدثتك حديثاً صدقاً ، تجد علي فيه ، إني لأرجو عقابي من الله فيه . . .
ولا والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين
تخلفت عنك ! .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما هذا فقد صدقت فيه ، فقم حتى يقضى الله فيك » .

فقمتم ، وثار معي رجال من بني سلمة ، فاتبعوني . . .
ثم قلت لهم : هل لقي هذا أحد غيري ؟
قالوا : نعم ، رجلان قالوا مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك .
قلت : من هما ؟

قالوا : سرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية .
فذكروا لي رجلين صالحين فيهما أسوة ، فقمتم حين ذكروهما لي .
ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من
تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا ، حتى تنكرت لي نفسي ، والأرض ،
فما هي بالأرض التي كنت أعرف .
فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ...

فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما ، وأما أنا فكنت أشب القوم
وأجلدهم ، فكنت أخرج وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق
ولا يكلمني أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه
بعد الصلاة : فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلي
قريباً منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلى ، وإذا التفت نحوه
أعرض عني .

حتى إذا طال ذلك على ، من جفوة المسلمين ، مشيتُ حتى تسورت جدار
بستان أبي قتادة ، وهو ابن عمي ، وأحب الناس إلي فسلمتُ عليه ، فوالله ما ردَّ
علي السلام ! .

فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك الله ، هل تعلم أني أحب الله ورسوله ؟
فسكت ، فعدت فناشدته ، فسكت عني ، فعدت فناشدته ، فسكت عني ،
فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ! .

ففاضت عيناى ، ووثبت فتسورت البستان . . فاقبنا على ذلك ، حتى إذا
حضت أربعون ليلة من الخمسين ، إذا رسول رسول الله يأتينى فقال : إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرك أن تعزل امرأتك .
قلت : أطلقها أم ماذا ؟

قال : لا ، بل اعزلها ولا تقربها .
وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك ، فكونى
عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض .
وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له :
يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ كبير ، ضائع لخدمته ، أفنكره
أن أخدمه .

قال : « لا ولكن لا يقربنك » .
قالت : والله يا رسول الله ما به من حركة إلى ، والله ما زال يبكي منذ
كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، واقد تخوفت على بصره .
فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله لامرأتك ، فقد أذن لامرأة
هلال بن أمية أن تخدمه ؟ .

قلت : والله لا استأذنه فيها ، ما أدري ما يقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم لى فى ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب ؟ .

فلبثنا بعد ذلك عشر ايام ، فكل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا .

ثم صليت الصبح ، صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا على الحال
التي ذكر الله مفا ، قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت وضاقت على نفسى . . .
إذ سمعت صوت صارخ يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشِرْ .

نفرت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء الفرج .
وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بتوبة الله علينا حين صلى
الفجر ، فذهب الناس يبشروننا .
وذهب نحو صاحبي يبشرون ، وركض رجل إلى فرسا ، فكان الصوت
أسرع من الفرس .
فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني ، نزع ثوبي فكسوتهما إياه
بشارة ، ووالله ما أملك يومئذ غيرهما .
واستعرت ثوبيين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم .
وتلقاني الناس يبشرونني بالتوبة ، حتى دخلت المسجد ورسول الله صلى
الله عليه وسلم جالس حوله الناس .
فقام إلى طلحة بن عبيد الله غياني وهناني ، ووالله ما قام إلى رجل من
المجاهرين غيره .
فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ووجهه يبرق من
السرور : « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » .
قلت : أمن عندك يا رسول الله ، أم من عند الله ؟ .
قال : « بل من عند الله » .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استبشر كأن وجهه قطعة قر ،
وكنا نعرف ذلك منه .
فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتي إلى الله عز وجل
أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أميك عليك بعض مالك فهو
خير لك » .

قلت : إني ممسك سمى الذى بخير .

وقلت : يا رسول الله ، إن الله قد نجاني بالصدق ، وإن من توبتى إلى الله أن لا أحدث إلا صدقاً ماحييت ... والله ما أعلم أحداً من الناس أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفضل مما أبلانى ، والله ما تعمدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإني لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى .

قال : وأنزل الله تعالى : (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا) إلى قوله (وكونوا مع الصادقين) .

قال كعب : فوالله ما أنعم الله على نعمة قط - بعد أن هدانى للإسلام - كانت أعظم فى نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ...

ثميف تدخل الإسلام!

اثممرت ثميف بينها ، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفداً من ستة رجال .

فلما دنوا من المدينة ، دخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقدمهم عليه .

ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اكتفبوا كتبهم ، وكان خالد هو الذى كتب كتبهم بيده .

وقد كان فيما سألوه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها .

وقد كانوا سألوه - مع ترك الطاغية - أن يعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه » .

فقالوا : يا محمد ، فسنؤتيكمها ، وإن كانت دناءة ! ..
فلما أسلموا ، وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم . أمر عليهم عثمان بن أبي العاص ، وكان من أحدثهم سناً ، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن .

تدمير الطاغية اللات !

فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أباسفيان بن حرب ، والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية . فخرجا مع الفؤم ، حتى إذا قدما الطائف ، أراد المغيرة أن يقدم أباسفيان ، فأبى ذلك أبوسفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك ، وأقام أبوسفيان بماله بذى الهمد .

فلما دخل المغيرة علاها يضربها بالمؤول ، وخرج نساء ثقيف مكشوقات الوجوه ، يبكين عليها ! .

ويقول أبوسفيان والمغيرة بضربها بالفأس : واهاً لك ، آهاً لك !
وكان لإسلام ثقيف وهدم اللات في رمضان سنة تسع من الهجرة .

أبو بكر يحج بالناس

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شهر رمضان وشوالاً وذا القعدة .

ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ، ليقم المسلمين حجهم .

نخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين .

ونزلت سورة براءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينهم وبينهم . أن لا يصد عن البيت أحد جاءه ، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام . وكان ذلك عهداً عاماً بينهم وبين الناس من أهل الشرك وكانت بين ذلك عهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص إلى آجال مُسمّاة .

فنزلت فيه ، وفيمن تخلف من المنافقين عنه في تبوك ، وفي قول من قال منهم .

فكشف الله تعالى فيها سراير أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون ، منهم من سمى لنا ، ومنهم من لم يسم لنا .

ولما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقيم للناس الحج ، قيل له : يا رسول الله ، لو بعثت بها إلى أبي بكر ؟

فقال : « لا يؤذى عني إلا رجل من أهل بيتي » .

ثم دعا علياً بن أبي طالب ، فقال له : « اخرج بهذه القصّة من صدر براءة وأذن في الناس يوم الفجر إذا اجتمعوا بمنى ، أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان » ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته .

نخرج علي بن أبي طالب على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمضيء حتى أدرك أبا بكر بالطريق .

فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أمير أو مأمور ؟

فقال : بل مأمور .

نم مضيا . . فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك في تلك السفرة
على منازلهم من الحج للتي كانوا عليهم في الجاهلية .

حتى إذا كان يوم النحر ، قام علي بن أبي طالب ، فأذن في الناس بالذي
أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيها الناس ، إنه لا يدخل
الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان
له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته ، وأجل الناس
أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ، ليرجع كل قوم إلى ما منهم أو بلادهم ثم
لا عهد لمشرك ولا ذمة ، إلا أحداً كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
عهد إلى مدة فهو له إلى مدته .

فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطوف بالبيت عريان .

ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عام الوفود

لأنما كانت العرب تَرْبُصُ بالإسلام ، أمر قريش ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وصریح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب ، لا ينكرون ذلك . وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت له قريش ، ودوخها الإسلام ، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله ، - كما قال عز وجل - أفواجاً ، يضربون إليه من كل وجه .

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره . إنه كان تواباً) .

أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك .

وفد بني تميم

فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب ، فقدم عليه أشراف بني تميم .

فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حُجراته : اخرج إلينا يا محمد .

فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم فقالوا : يا محمد جئناك نفاخر بك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا .

قال : « قد أذنتُ لخطيبكم فليقل » .

فلما فرغ القوم من تفاخرهم ، وفرغ حسان بن ثابت من رده عليهم ، أسلموا ، وأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم .

وفيه من القرآن : (إِنْ الْقِيَمَةُ يَنْزِلُ مِنْ أَدْنَىٰكَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجْرَاتِ أَكْثَرُكُمْ لَا يَعْقِلُونَ) .

يا ابن عبد المطلب !

وبعث بنو سعد بن بكر ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً منهم . يقال له ضمام بن ثعلبة .

فقدم عليه ، وأناخ بهـيره على باب المسجد ، ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه .

وكانه ضمام رجلاً قوياً ، أشعر ، ذا صغيرتين .

فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا ابن عبد المطلب » . قال : أحمد ؟ .

قال : « نعم » .

قال : يا ابن عبد المطلب ، إني سائلك ومضابط عليك في المسألة ، فلا تجدن بها عليّ في نفسك .

قال : « لا أجد في نفسي ، فسل عما بدا لك » .

قال : أنشدك الله إلهك ، وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك آله بعثك إلينا رسولا ؟ .

قال : « اللهم نعم » .

قال : فأنشدك الله إلهك ، وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آله أسرك أن تأمرنا أن نعبد وحده ، ولا نشرك به شيئاً ، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه ؟ .

قال : « اللهم نعم » .

قال : فأشهدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك
 آله أمرك أن تصلي هذه الصلاة الخمس ؟
 قال : « اللهم نعم » .

ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة ، والصيام ، والحج
 وحرائع الإسلام كلها ، يثبته عند كل فريضة منها كما نشده في التي قبلها ،
 حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله
 وسأؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهى عنى عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص .
 ثم انصرف إلى بيته راجعاً . .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن صدق ذو العقيصتين ^(١)
 دخل الجنة » .

فأتى بيته ، فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه
 فكان أول ما تكلم به أن قال : بائت اللات والعزى !!
 قالوا : مه يا ضمام ، اتق البرص ، اتق الجدام ، اتق الجنون .
 قال : وبكم ! إنهم والله لا يضرّان ولا ينفعان ، إن الله قد بعث
 رسولا ، وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله
 إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده
 بما أمركم به ونهاكم عنه .

فأمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً .

قدوم الجارود

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو في وفد عبد
 القيس وكان نصرانياً .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كله ، فعرض عليه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه .

فقال : يا محمد ، إني قد كنت على دين ، وإني تارك ديني لدينك ، أفنتضمن لي ديني ؟ .

فقال : « نعم أنا ضامن لك أن قد هَذَاك الله إلى ما هو خير منه » .
فأسلم وأسلم أصحابه ، وخرج من عنده راجعاً إلى قومه ، وكان حسن الإسلام ، صديقاً على دينه حتى هلك .

مسيلة الكذاب

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني حنيفة ، فيهم مسيلة الكذاب .

ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهوا إلى البصرة ارتد عدو الله ، وتنبا ، وتسكذب لهم ، وقال : إني قد أشركت في الأمر معه !
ثم جعل يسبج لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن :
لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ! ! .
وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ! ! .

وفد طيء

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم .

فلما انتهوا إليه كلمهم ، وعرض عليهم الإسلام ، فأسلموا فحسن إسلامهم .
ثم سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخيل .
فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى قومه ، فأصابته الحمى بالطريق فأت .

والله ما هذا بلك !

قال عدى بن حاتم : ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم - حين سمع به - مني ، أما أنا فكنت امرأ شريفاً ، وكنت نصرانياً ، فكنت في نفسي على دين ، وكنت ما - كما في قومي .

فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهتُ ، فقلت لفلان كان لي
عربي ، وكان راعياً لإبلي : أعد لي من إبلي أجالا سمناً فاحتبسها قريباً مني
فإذا سمعت بجيش محمد قد وطئ هذه البلاد فأذني ، ففعل .

ثم إنه أتاني ذات غداة فقال : ما كنت صانماً إذا غشيتك خيل محمد
خاصمه الآن ، فإني قد رأيت راياتٍ ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد .
فقلت : فقرب إلي أجالي ، فقربها ، فاحتملت بأهلي وولدي ثم قلت :
الحق بأهل ديني من النصاري بالشام .

وخلفت بنتاً لحاتم في الحاضر ، فلما قدمت الشام أقمت بها .
وتخالفني خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتصيب ابنة حاتم فيمن
أصابته ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبأيا من طيء .
ثم أطلق مراحها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدمت الشام فأقامت
عندي .

فقلت لها وكانت امرأة حازمة : ماذا تريين في أمر هذا الرجل ؟
قالت : أرى والله أن تلحق به مريماً ، فإن يسكن الرجل نبياً فلا باق
إليه فضله ، وإن يسكن ملكاً فلن تذلي في عز اليمين وأنت أنت .
قلت : والله إن هذا للراي .

فخرجت حتى أقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة ، فدخلت
عليه وهو في مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : « مَنْ الرَّجُلُ » ؟
فقلت : عدى بن حاتم .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانطلق بي إلى بيته .
فوالله إنه لعامدني إليه ، إذ لقيت امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفتني ، فوقف
لها طويلاً ، تسكلمه في حاجتها .

قلت في نفسي : والله ما هذا بملك ؟

ثم مضى بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا دخل بن بيته ،
تناول وسادة محشوة ليفا ، فقفها إلى ، فقال : « اجلس على هذه » .

قلت : بل أنت فاجلس عليها .

فقال : « بل أنت » .

فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ! .

قلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك ؟ .

ثم قال : « يا أيها العبدى بن حاتم ، ألم تك رَكُوسِيًّا ^(١) ؟ » .

قلت : بلى .

قال : « أولم تسكن تسير في قومك بالمرباع ^(٢) ؟ » .

قلت : بلى .

قال : « فإن ذلك لم يكن محل لك في دينك » .

قلت : أجل والله .

وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجْمَل .

ثم قال : « املك يا عدى إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ماترى من .

حاجتهم ؟ . فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه .

واملك إنما يمنعك من دخول فيه ماترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ؟ . فوالله

ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت .

لاتخاف . واملك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان

في غيهم ؟ وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد

فتحت عليهم » .

فأسلمت . . .

(١) قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين .

(٢) المرباع : ربم الفتيمة .

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان ، وبقيت الثالثة ، والله لا تكونن :
قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج
من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تمج هذا البيت ، وإيم الله لا تكون
الثالثة : لم يفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه .

عمرو بن معد يكرب

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معد يكرب في أناس
من بني زُبَيْد ، فأسلم .
فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدوا .

ما بال هذا الحرير ؟

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث بن قيس في وفد
كِنْدَةَ ، في ثمانين راكباً ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده
وقد مشطوا شعورهم وسرحوها ، وتكحلوا ، عليهم جُبَب ، وقد طرزوها
بالحرير .

فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَلَمْ تَسْلُوا ؟ »
قالوا : بلى .

قال : « فما بال هذا الحرير في أعناقكم ؟ »
فشقوه منها ، فألقوه .

ملوك حمير تبعث رسلاً

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير ، مقدمه من
تبوك ، ورسولهم إليه بإسلامهم .

فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً كان منه : (بسم الله
الرحمن الرحيم من محمد رسول الله النبي ، إلى . . . أما بعد ، فإنه قد وقع

بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم به ، وخبر ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم ، وقتلكم للشركين . . . وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم . ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُرَدُّ عنها ، وعليه الجزية . . . فمن أدى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن له ذمة الله وذمة رسوله ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله . . . وإنى قد أرسلت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم ، وآسركم بهم خيراً ، فإنهم منظورون إليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم معاذ بن جبل ، أوصاه ، وعهد إليه ، ثم قال له : « يسّر ولا تعسر ، وبشر ولا تنفر ، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك : مائة تاح الجنة ؟ . فقل : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . »

فخرج معاذ حتى إذا قدم اليمن ، قام بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الروم يصلون فروة !

وبعث فروة بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا بإسلامه ، وأهدى له بقلّة بيضاء .

وكان فروة عاملاً للروم على من يلبهم من العرب ، وكان منزله مُمسان ، وما حولها من أرض الشام .

فلما باغ الروم ذلك من إسلامه ، طلبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم . ثم ضربوا عنقه وصابوه على ما هم بفاسطين ! ! .

إسلام بنى الحرث بن كعب

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع

الآخر ، سنة عشر من الهجرة ، إلى بنى الحرث بن كعب بن جحران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ، ثلاثاً ، فإن استجابوا فاقبل منهم وإن لم يفعلوا فقاتلهم .

فخرج خالد حتى قام عليهم ، فبعث الركبان بضربون في كل وجه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس أسلموا تسلموا . فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دُعوا إليه .

فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كان أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ، ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بما جرى ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدكم .

فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفد بنى الحرث .

فاستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر عليهم قيس ابن الحصين .

فرجع وفد بنى الحرث إلى قومهم في بقية من شوال .

الرسول يبعث أمراء الزكاة

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات ، إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان .

كتاب مسيلة الكذاب !

وقد كان مسيلة بن حبيب قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من مسيلة رسول الله ، إلى محمد رسول الله ، سلام عليك ، أما بعد ، فإني قد
اشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ،
ولكن قريشاً قومٌ يعتدون ! .

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرأ كتابه : « فأتقولا
اتما » ؟

قالا : نفول كما قال !

فقال : « أما وافق لولا أن الرسل لا تنقل لضربت أعناقكما » .

ثم كتب إلى مسيلة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى
مسيلة الكذب ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإن الأرض لله
يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » .
وكان ذلك في آخر سنة عشر من الهجرة .

نَجْمَةُ الْوَدَاعِ

حجة الوداع ، أو حجة الإسلام ، أو حجة البلاغ .
ولأنما سميت حجة الوداع لأنه عليه الصلاة والسلام ودع الناس فيها ولم
يحج بعدها .

وسميت حجة الإسلام لأنه عليه الصلاة والسلام لم يحج من المدينة غيرها .
وسميت حجة البلاغ لأنه عليه السلام بلغ الناس شرع الله في الحج قولا
وفعلا ، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه عليه
السلام ، فلما بين لم شريعة الحج ووضحه وشرحه ، أنزل الله عز وجل عليه
وهو واقف بعرفة (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت
لكم الإسلام ديناً) .

متى خرج النبي ؟

فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة من سنة عشر من
الهجرة ، تجهز للحج ، وأمر الناس بالتجهز له .
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس ليال بقين من ذى القعدة ،
فقدم مكة لخمس خلون من ذى الحجة .
واستعمل على المدينة أبا دُجانة السَّاعِدِيَّ .

وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه الظهر بالمدينة أربعاً ،
والمصر بذى الحليفة ركعتين ، ثم بات بها حتى أصبح ، ثم ركب حتى استوت
به راحلته على البيداء ، وحمد الله عز وجل وسبح ، ثم أهل بالحج وهرمة .

كيف كانت تلك الحجة ؟

وإليك تفصيل الحجة الأخيرة الجامعة ، التي اختتم بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم الإسلام ، وأعلن الله تعالى فيها إكمال الدين ، وإتمام النعمة

عن جابر بن عبد الله : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يجمع ، ثم أذن في الناس في العاشرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجٌ فقدم المدينة بشر كثير ، كلهم يلتمس أن يأتيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله .

فخرجنا معه ، حتى أتينا ذا الحليفة ، فولدت أسماء بنت عميس محمداً بن أبي بكر ، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصنم ؟ قال : « اغتسلي واستغفري^(١) بثوبٍ وأحرمي » .

فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، ثم ركب القموص ، حتى إذا استوت به ناقته على البداء ، نظرت إلى مد بصرى ، بين يديه من راكب وماشٍ ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك ! ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شيء ، عملنا به .

فأهل بالتوحيد : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لا شريك لك لَبَّيْكَ ، إِنْ الْحَمْدُ وَالنِّعْمَةُ لَكَ ، وَالْمُلْكُ ، لا شريك لك » .

وأهل الناس ، بهذا الذي يهلون به ، فلم يرُدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم شيئاً منه ، ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تليته .

قال جابر رضى الله عنه : لسنا نفوى إلا الحج ، لسنا نعرف العمرة ، حتى إذا أتينا البيت معه ، اسقلم الرُّكنَ فرمل ثلاثاً ، ومشى أربعا ، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام ، فقرأ (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) فجعل المقام بينه وبين البيت - كان يقرأ في الركعتين قل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون . ثم رجع إلى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب إلى الصفا .

(١) استغفري : شدي في وسطك شيئاً ، وخذي خرقة عريضة اجعلها على محل الدم ، وشدي طرفيها من قدامها ومن رراثها في ذلك المشدود في وسطك .

فلما دنا من الصفا قرأ (إِنَّ الصَّفَا ، والمروة من شعائر الله) أبدأ بما
بدأ الله به .

فبدأ بالصفا ، فرقى عليه ، حتى رأى البيت ، فاستقبل القبلة ، فوحد
الله وكبره .

وقال : « لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو
على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده
وهزم الأحزاب وحده » .

ثم دعا بين ذلك ، قال مثل هذا ثلاث مرات .

ثم نزل إلى المروة ، حتى إذا انصبّت قدماه في بطن الوادي سمى ، حتى
إذا صعدتا مشى ، حتى أتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا .

حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال : « لو أنى استقبلت من أمرى
ما استدبرت ، لم أسقى الهدى ، وجعلتها عمرة » ، فمن كان منكم ليس معه
هدى فليجئ ، وليجعلها عمرة » .

فقام سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جُعْشُمٍ فقال : يا رسول الله أليامنا هذا أم لأبد ؟
فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في الأخرى ، وقال :
« دخلت العمرة في الحج - مرتين - لا ، بل لأبد أبد » .

وقدّم على من اليمن ، بيذن النبي صلى الله عليه وسلم ، فوجد فاطمة رضي
الله عنها ممن حلّ ولبست ثياباً صبيغاً ، واكتحلت ، فأنكر ذلك عليها .
فقالت : إن أبى أمرنى بهذا .

قال جابر : فكان على يقول بالعراق ، فذهبت إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، محرّشاً على فاطمة ، للذى صنعت ، مستفتياً لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما ذكرت عنه ، فأخبرته أنى أنكرت ذلك عليها . فقال صدقت
صدقت ، ماذا قلت حين فرضت الحج ؟ قال : قلت : اللهم إني أهلّ بما

أهل به رسولك . قال : فإن مدي لهدى ، فلا تحيل .
 قال جابر : فكان جماعة الهدى الذى قدِم به على من اليمين ، والذى أتى
 به النبي صلى الله عليه وسلم مائة .
 قال : فخل الناس كلهم ، وقصروا ، إلا النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن
 كان معه هدى .

فلما كان يوم التروية ، توجهوا إلى منى ، فأهلوا بالحج .
 وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى بها الظهر ، والعصر ،
 والمغرب ، والعشاء ، والفجر .
 ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس ، وأمر بقبة من شعر ، تضرب
 له بنمرة .

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولاتشك قريش إلا أنه واقف
 عند المشعر الحرام ، كما كانت قريش تصنع في الجاهلية .
 فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفه ، فوجد القبة قد
 ضربت له بنمرة ، فنزل بها .

حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء ، فرحلت له ، فأتى بطن الوادى
 فخطب الناس وقال : « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم
 هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي
 موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن
 ربيعة بن الحارث ، كان مسترضيا في بني سَعْد ، فقتلته هذيل . وربما الجاهلية
 موضوع ، وأول ربا أضع ربانا ، ربا عباس بن عبد المطلب ،
 فإنه موضوع كله . فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ،
 واستحلتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا
 تسكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم

رزقهم وكسوتهم بالمعروف . وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ، إن اعتصمتم به ، كتاب الله ، وأنتم تسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ » .
قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت .
فقال بأصبعه السبابة ، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : « اللهم اشهد » ثلاث مرات .

ثم أذن ، ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئاً .
ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف ، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات ، وجعل حبل المشاة بين يديه ، واستقبل القبلة .
فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس ، وذهبت الصفرة قليلاً ، حتى غاب القرص .

وأردف أسامة خلفه ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شق للقصواء الزمام ، حتى إن رأسها ليصيب مؤرك رجليه ، ويقول بيده اليمنى :
« أيها الناس ، السكينة السكينة » .

كلما أتى حبلاً من الحبال^(١) ، أرخى لها قليلاً ، حتى تصعد ، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد ، وإقامتين ، ولم يسيح بينهما شيئاً .
ثم اضطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر ، وصلى الفجر حين تبين له الصبح ، بأذان وإقامة .
ثم ركب القصواء ، حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة ، فدعاه وكبره وهله ووحده .

فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً ، فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف الفضل بن عباس ، وكان رجلاً حسن الشعر ، أبيض وسياً ، فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به ظمن^(٢) يجرين ، فطفق الفضل ينظر إليهن ،

(١) جمع حبل : وهو التل من الرمل . (٢) ظمن . نساء .

فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل ، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ، فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل ، بصرف وجهه من الشق الآخر يفتقر .

حتى أتى بطن مُحَسَّرٍ ، فحرك قليلا ، ثم سلك الطريق الوسطى ، التي تخرج على الجرة الكبرى ، حتى أتى الجرة التي عند الشجرة ، فرماها بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة منها ، مثل حصي الخذف .

رمى من بطن الوادي ، ثم انصرف إلى المنجر ، فنحر ثلاثا وستين بيده ثم أعطى عليا فنحر ما غبر^(١) ، وأشركه في هدية ، ثم أمر من كل بدنه ببضعة ، فجعلت في قدر فطبخت ، فأكلا من لحمها ، وشربا من مرقمها .

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأفاض إلى البيت ، فصلى بمكة الظمـــــر .

فأتى بنى عبد المطلب يسقون على زمزم ، فقال : انزعوا بنى عبد المطلب فلولاً أن يفلبكم الناس على سقايتكم ، انزعتم معكم .

فذاولوه دلوأ ، فشرب منه . (رواه مسلم)

ذلك هو الحديث الرائع الذي يفصل حجة الوداع تفصيلا جميلا طويلا .
واقعد نقلناه إليك بكامله ، لينة لك بدوره إلى تلك الأيام الجميلة ، التي قضاه صلى الله عليه وسلم حاجاً ، ومعه أصحابه ، يقولون كما يقول ، ويفعلون كما يفعل .

فتتلاً من ذلك أمامك صورة حية ناطقة متحركة ، تجري أمام ناظريك عن عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره كله .

اللهم اشهد

قالوا : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حججه ، فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التي بين فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولي ، فإنني لأدري لعل لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا . أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها .

وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رهوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربا .

وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله .

وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع .

وإن أول دماءكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل ، فهو أول ما بدأ به من دماء الجاهلية .
أما بعد : أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يقطع فيأسوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم .

أيها الناس ، إن النسيء زيادة في الكفر ، بضل به الذين كفروا ، يحلون به عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله .

وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم : ثلاثة متواليه ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان .

أما بعد : أيها الناس ، فإن لكم على نساءكم حقاً ، ولهن عليكم حقاً . لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تسكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن اتهمن فلمن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عوان^(١) لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإنى قد بلغت .

وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيننا ، كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس ، اسمعوا قولي واعقلوه .
تَعْلَمَنَّ أن كل مسلم أخ المسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم . اللهم هل بلغت .
فقال الناس : اللهم نعم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اشهد » .
فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ، وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم من الموقف ، ورَمَى الجار ، وطواف البيت ، وما أحل لهم من حجهم وما حرم عليهم .
فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحج بعدها .

العودة إلى المدينة

ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر .

(١) أسيرات .

بعث أسامة بن زيد إلى فلسطين

وضرب على الناس يثماً إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة
مولاه ، وأمره أن يوطىء الخليل تخوم البلقاء ، والداروم ، من أرض
فلسطين .

فتجهز الناس ، وخرج مع أسامة بن زيد المهاجرون والأنصار .
وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الى الرفيق الأعلى

فمن في سنة إحدى عشرة من الهجرة .
فبينما الناس على ذلك ، ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكواه ،
الذي قبضه الله فيه ، في ليال بقين من صفر .
فكان أول ما ابتدئ به من ذلك ، أنه خرج إلى بقيع الرقعة ، من
جوف الليل ، فاستغفر لهم ثم رجع إلى أهله .
فلما أصبح ابتدئ بوجهه من يومه ذلك .

لقد اخترت لقاء ربي

عن أبي مويبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثني
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : « يا أبا مويبة ، إني
قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معي » .
فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : « السلام عليكم يا أهل
القابر ، إني نبي لكم ما أصبحتم فيه ، مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن
كقطع الليل المظلم ، يقتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى » .
ثم أقبل عليّ فقال : « يا أبا مويبة ، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا
والخلة فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة » .
فقلت : بأبي أنت وأمي ، نخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلة فيها ثم الجنة
قال : « لا ، والله يا أبا مويبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة » .
ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف .
فبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي قبضه الله فيه .

وارأساه

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : رجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي ، وأنا

أقول : وارأساه ، فقال : « بل أنا والله يا عائشة وارأساه » .
 قالت : ثم قال : « وما ضرك لو مُتَّ قبلي ، فقامتُ عليك وكفنتُكِ
 وصليتُ عليك ودفنتُكِ ؟ » .

قالت : قالت : والله لكأنني بك لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت إلى بيتي
 فأعرست فيه ببعض نسائك .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 وتقام عليه مرضه وهو يدور على نسائه ، حتى اشتد به وهو في بيت
 ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي ، فأذن له .

المرض يشتد

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : فخرج رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يمشي بين رجلين من أهله ، أحدهما الفضل بن عباس ، ورجل
 آخر ^(١) ، عاصباً رأسه ، تخط قدماه ، حتى دخل بيتي .

ثم ضمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد به وجعه ، فقال :
 « هَرِّيقُوا عَلَيَّ سَبْعَ قِرْبٍ مِنْ آبارِ شَتَّى ، حَتَّى أُخْرَجَ إِلَى النَّاسِ ،
 فَأَعْمَدَ إِلَيْهِمْ » .

فأقمَدناه في مخضَبٍ لِحَفْصَةَ بِنْتُ عَمْرِ ، ثُمَّ صَبَبْنَا الْمَاءَ حَتَّى طَفِقَ يَقُولُ :
 « حَسْبُكُمْ حَسْبُكُمْ » .

ينعى نفسه

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه ، حتى جلس على المنبر .
 ثم كان أول ما تكلم به ، أنه صلى على أصحاب أُحُدٍ ، واستغفر لهم ،
 فأكثر الصلاة عليهم .

(١) هو علي بن أبي طالب .

ثم قال : « إن عبداً من عباد الله ، خيره الله بين الدنيا والآخرة ، وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله » .

فهممها أبو بكر ، وعرف أن نفسه يريد ، فبكي ، وقال : بل نحن نقديك بأنفسنا وأبنائنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على رسلك يا أبا بكر » .
ثم قال : « انظروا هذه الأبواب اللافظة^(١) في المسجد فسدوها ، إلا بيت أبي بكر ، فإنني لا أعلم أحداً ، كان أفضل في الصحبة عندي يدا منه » .

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ في كلامه هذا « فإنني لو كنت معخذاً من العباد خليلاً ، لاتخذتُ أبا بكر خليلاً ، ولكن صحبةً ، وإخاء إيمانٍ ، حتى يجمع الله بيننا عنده » .

أنفذوا بعث أسامة

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ الناس في بعث أسامة ، وهو في مرضه .

فخرج عاصباً رأسه ، حتى جلس على المنبر .
وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة : أمر غلاماً حدثاً ، على جملة المهاجرين والأنصار .

فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال : « يا أيها الناس ، أنفذوا بعث أسامة ، فلمعمرى لئن قاتم في إمارته ، لقد قاتم في إمارة أبيه من قبله ، وإمارة خليفته للإمارة ، وإن كان أبوه خليفاً لها » .

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانكشف الناس في جهازهم ، واشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه .

فخرج أسامة ، وخرج بجيشه معه ، حتى نزلوا الجرف من المدينة على فرسخ .

(١) اللافظة : النافذة إليه .

فصرب به معسكره ، وتقام^١ إليه الناس .
ونقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام أسامة والناس ، لينظروا ما
الله قاض في رسول الله صلى الله عليه وسلم .

استوصوا بالأنصار خيراً

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - يوم صلى واستغفر
لأصحاب أحد ، وذكر من أسرم ماذكر ، مع مقالته يومئذ - « يا معشر
المهاجرين ، استوصوا بالأنصار خيراً ، فإن الناس يزيدون ، وإن الأنصار على
هيئتها لا تزيد ، وإنهم كانوا عييتي^١ التي أوبت إليهم ، فأحسنوا إلى محسنهم
وتجاوزوا عن سيئهم » .

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتقام^٢ به مرضه
حتى غمره .

من صنع هذا بي ؟

فاجتمع إليه نساء من نسائه ، أم سلمة ، وميمونة ، ونساء من نساء
المسلمين ، منهن أسماء بنت عميس .

وعنده العباس عمه ، فأجمعوا على أن يلدوه^(١) ، وقال العباس : لألدنّه .
فلدوه ، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صنع هذا بي ؟ »
قالوا : يا رسول الله عمك .

قال : هذا دواء أتى به نساء جن من نحو هذه الأرض . وأشار نحو
أرض الحبشة .

قال : « ولم فعلتم ذلك ؟ »

فقال عمه العباس : خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات جنب .

(١) لدت المريض : إذا جعلت الدواء في شق فيه .

فقال : « إن ذلك لءالا ما كان الله ليقتضى به ، لا يبق في البيت أحد إلا لى إلا عى » .

فلقد لدت ميمونة ، وإنها لصائمة ، لقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقوبة لم بما صنعوا به .

يدعو بالإشارة

عن أسامة بن زيد ، لما نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هبطت ، وهبط الناس معى إلى المدينة .

فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أضمت ، فلا تكلم . فجعل يرفع يده إلى السماء ، ثم يضمها على ، فأعرف أنه يدعو لى .

إذا والله لا يختارنا !

عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كثيراً ما أسمعه يقول : « إن الله لم يقبض نبياً حتى يُخبره » .

قالت : فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول : « بل الرفيق الأعلى من الجنة » .

قالت : قلت : إذا والله لا يختارنا ، وعرفت أنه الذى كان يقول لنا « إن نبياً لم يقبض حتى يُخبر » .

وعن عائشة أيضاً قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من نبى إلا تقبض نفسه ، ثم يرى الثواب ، ثم ترد إليه ، فيخير بين أن ترد إليه ، وبين أن يلحق » .

فكذت قد حفظت ذلك منه ، فإلى مسندته إلى صدرى ، فنظرت إليه حين مات عتقه ، فقلت : قد قضى ، فعرفت الذى قال .

فنظرت إليه حين ارتفع فنظر ، قلت : إذا والله لا يختارنا .

فقال : مع الرفيق الأعلى ، في الجنة ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

مروا أبا بكر فليصل بالناس

عن عائشة قالت : لما استمعز برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » .

قلت : يا نبي الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء . إذا قرأ القرآن ؟

قال : « مروه فليصل بالناس » .

قالت : فعدت بمثل قولي .

فقال : « إنك كن صواحب يوسف ، فروه فليصل بالناس » .

قالت : فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يُعْرَفَ ذلك من أبي بكر .

وعرفت أن الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه ابداً ، وأن الناس سيبتشاهمون به في كل حدث كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر .

فاين أبو بكر ؟

عن عبد الله بن زَمْعَةَ قال : لما استمعز برسول الله صلى الله عليه وسلم — وأنا عنده في نفر من المسلمين — دعاه بلال إلى الصلاة .

فقال : « مروا من يصلي بالناس » .

فخرجت ، فإذا عمر في الناس ، وكان أبو بكر غائباً .

فقلت : قم يا عمر فليصل بالناس .

فقام : فلما كبر ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته وكان عمر رجلاً مُجْهَرًا^(١) .

(١) مجهرًا : عال الصوت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإين أبو بكر ؟ . يابى الله ذلك والمسلمون ، يابى الله ذلك والمسلمون » .

فبعث إلى أبي بكر ، فجاء بعد أن صلى حر تلك الصلاة ، فصلى بالناس . قال لى عمر : ويحك !! ماذا صنعت بى يا ابن زمعة ؟ . والله ما ظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ؟ . ولولا ذلك ما صليت بالناس .

قلت : والله ما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولكنى حين لم أراها بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس .

النظرة الأخيرة

عن أنس بن مالك : لما كان يوم الاثنين الذى قبض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم ، نخرج إلى الناس وهم يصلون الصبح . فرفع الستر ، وفتح الباب ، نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام على باب عائشة .

فكاد المسلمون يفتقنون فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه ، فرحاً به ، وتفرّجوا .

فأشار إليهم أن انبتوا على صلاتكم .

وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سروراً لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم . وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه تلك الساعة .

ثم رجع ، وانصرف الناس ، يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفرق^(١) ، من وجهه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالشَّعْخُوعِ^(٢) .

(١) أفرق من وجهه : أبل من مرضه وبرى منه .

(٢) موضع كان لأبى بكر فيه مال ، وكان ينزله بأهله .

يصلى وراء أبي بكر !!

لما كان يوم الاثنين ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عاصباً رأسه إلى الصبح ، وأبو بكر يصلى بالناس .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدكص عن مصلاه . فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظهره ، وقال : « صل بالناس » . وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فصلى قاعدا عن يمين أبي بكر .

فلما فرغ من الصلاة ، أقبل على الناس ، فكلامهم رافعاً صوته ، حتى خرج صوته من باب المسجد يقول : « أيها الناس ، سُمِّرَتِ النارُ ، وأقبلتِ الفتن كقطع الليل المظلم ، وإني والله ما تمسكون على بشيء ، إني لم أحل إلا ما أحل القرآن ، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن » .

فلهذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر : يا نبي الله ، إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل ، كما نحب ، واليوم يوم بنت خارجة أفأنتيها ؟ .

قال : « نعم » .

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالشنع .

بل الرفيق الأعلى

فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشهد الضحاء من يوم الإثنين ، لثاني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، لتام عشر سنين من مقدمه المدينة . عن عائشة قالت : رجم إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم ،

حين دخل من المسجد ، فاضطجع في حجرى .

فدخل على رجل من آل أبى بكر ، وفي يده سواك أخضر .

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه في يده ، نظراً عرفت أنه يريد .

فقلت : يا رسول الله ، أتحب أن أعطيك هذا السواك ؟ .

قال : « نعم » .

قالت : فأخذته فضغته حتى ليئنته ، ثم أعطيته إياه .

فاستن به كأشد ما رأيت بهستن بسواك قط ، ثم وضعه .

ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم بثقل في حجرى ، فذهبت أنظر

في وجهه ، فإذا بصره قد شخص ، وهو يقول : « بل الرفيق الأعلى من الجنة » .

فقلت : خُيِّرْتَ فاخترت ، والذي بعثك بالحق .

وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تقول عائشة : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري^(١)

وتحزرى^(٢) وفي دولتى^(٣) ، لم أظلم فيه أحداً . فن سقمى وحدانة سقى ، أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو في حجرى ، ثم وضعت رأسه على

وسادة ، وقت ألتدم^(٤) مع النساء ، وأضرب وجهى .

والله ما مات !!

عن أبى هريرة :

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب فقال : إن رجالا

من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى ، وإن رسول

الله صلى الله عليه وسلم والله ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه ، كما ذهب موسى

(١) السحر : من الرثة إلى الخلقوم . (٢) النحر . أعلى الصدر .

(٣) في دولتى : في نوبتي التي كانت لي . (٤) ألتدم : أضرب صدري .

ابن عمران ، فقد غاب عن قومه ، أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل : قد مات ، والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات .

أبو بكر يقبل رسول الله

وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد — حين بلغه الخبر — وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم مغطى الوجه في ناحية البيت ، عليه بُرْدُ حَبْرَةٍ^(١) .

فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ثم أقبل عليه فقَبَّلَهُ ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها موة أبدا .
ثم رَدَّ البُرْدَ على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلم الناس .

وما محمد إلا رسول

فقال : على رسلك يا عمر ، أنصت . . فأبى إلا أن يتكلم .
فلما رآه أبو بكر لا ينصت ، أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه ، أقبلوا عليه ، وتركوا عمر .

فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا هذه الآية :

(١) نوع من ثياب البين .

(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) .

فوالله لكان الناس لم يملوا أن هذه الآية نزلت ، حتى تلاها أبو بكر يومئذ .

وأخذها الناس عن أبي بكر ، فلما هي في أفواههم .

قال أبو هريرة : قال عمر : فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ففُتِرْتُ^(١) حتى وقعت إلى الأرض ، ما نعلماني رجلاي ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

عمر يروي قصة اختيار أبي بكر

قال عمر : إنه كان من خبرنا — حين توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم — أن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة ، وتخاف عنا علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومن معهم .

واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : اطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار .

فانطلقنا نؤثِّمهم . . . حتى أتينا في سقيفة بني ساعدة . . .

فجلسنا نسمع خطيبهم ، فأتاني على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعد ، فبعض أنصار الله . وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط متاع ، وقد دَفَّتْ^(٢) دَافَّةٌ من قومكم .

قال عمر : وإذا هم يريدون أن يحجازونا من أصلنا ، وينصبونا الأمر .

(١) ففُتِرْتُ : تَحْيِرْتُ ودعشت .

(٢) الدافَّةُ : الجماعة تأتي من البداية إلى الحاضرة .

فلما سكت أردت أن أنكلم ، وقد زوّرت^(١) في نفسي مقالة قد أجهتني ،
أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر . .

فقال أبو بكر : على رِسْلِكَ يا عمر ، فسكرت أن أغضبه .

فمنكلم ، وهو كان أعلم مني وأوفر ، فوالله ما ترك من كلمة أجهتني من
تزويري إلا قالها في بديهة ، أو مثلها ، أو أفضل ، حتى سكت ، قال : أما
ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا
الحق من قريش ، هم أوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم أحد هذين
الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم .

وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا :

ولم أكره شيئا مما قال غير ما كان والله أن أقدم فتضرب عنقي
لا يقربني ذلك إلى إثم ، أحب إلى من أن أناصر على قوم فيهم أبو بكر .

فقال ثائر من الأنصار : ماذا أمير ، ومنكم أمير يا معشر قريش .

قال : فسكنر اللفظ ، وارتفعت الأصوات ، حتى نحرقت الاختلاف .

فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ثم

بأيته الأنصار . . .

عمر يعتذر

عن أنس بن مالك : لما بويع أبو بكر في السقيفة ، وكان الفد ، جلس

أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فمنكلم قبل أبي بكر .

فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، إني قد كنت

قلت لكم بالأمر مقالة ما كانت ، وما وجدتني في كتاب الله ، ولا كانت عهدا

عهدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنني قد كنت أرى أن رسول

(١) زورت : أعدت وحلت .

الله صلى الله عليه وسلم سيّدُ برٍّ أمرنا . . . يكون آخرنا ! .
 وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله صلى الله عليه
 وسلم ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له .
 وإن الله قد جمع أصرمكم على خيركم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، ثلثي اثنين إذ هما في الفار ، فقوموا فبايعوه .
 فبايع الناس أبا بكر بيمته العامة ، بمد بيمعة السقيفة .

لست بخيركم

ثم تكلم أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ، ثم قال : أما بعد
 أيها الناس ؛ فإنني قد ولّيت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن أحسّنتُ فأعينوني ،
 وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم
 قوى عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى
 آخذ الحق منه إن شاء الله .

لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل .
 ولا تشيعُ الفاحشة في قوم قط إلا عمّهم الله بالبلاء .
 أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة
 لي عليكم .

قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

إعداد الجسد الشريف

فلما بويح أبو بكر رضى الله عنه ، أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى
 عليه وسلم يوم الثلاثاء .

فأسند على بن أبي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صدره ، وكان
 العباس والفضل وقثم يلقبونه معه .

وكان أسامة بن زيد ، وشقران مولاه ، هما اللذان يصبان الماء .
وعلى نفسه ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه بذلك من ورائه ،
لا يفضي يده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

على يقول : بأبي أنت وأمي ، ما أطيبك حياً وميتاً .
ولم ير من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء مما يرى من الميت .
فلما فرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب .
مخارئين^(١) ، وبرد حبرة ، أدرج فيه إدراجاً .

الصلاة على رسول الله

فلما فرغ من جهـاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، وضع
على سريره في بيته .

وقد كان المسلمون اخذلقوا في دفنه ، فقال قائل : ندفنه في مسجده .
وقال قائل : بل ندفنه مع أصحابه .

فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما قبض
نبي إلا دُفن حيث يقبض » .

فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي عليه ، فخر
له تحته .

ثم دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يصلون عليه أرسالاً
دخل الرجال ، حتى إذا فرغوا أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل
الصبيان .

ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد .

(١) نسبة إلى محار ، وهي بلدة من بلاد اليمن .

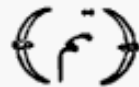
في ليلة الأربعاء

عن عائشة قالت : ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل من ليلة الأربعاء .

وكان الذين نزلوا في قمبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، علي بن أبي طالب ، والفضل بن عباس ، وقثم بن عباس ، وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال أوس بن خولى لعل بن أبي طالب : يا علي أنشدك بالله ، وحفظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال له : انزل . فنزل مع القوم .

وقد كان مولاه شقران - حين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة وبني عليه - قد أخذ قطعة ، قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ويفترشها ، فدفنها في القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك أبداً . قال ابن عباس : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فسكت بمكة ثلاث عشرة ، ثم أمر بالهجرة ، فهاجر عشر سنين ، ثم مات وهو ابن ثلاث وستين .



خاتمة

.. ما إن فرغت من تأليف هذا الكتاب ، حتى وقع في يدي عدد من إحدى المجلات الشهرية ، التي تصدر في القاهرة ، ووجدت فيه مقالا ، كأنما كان مهي على ميعاد .

قرأت فيه مقالا بعنوان : « السيرة النبوية لابن هشام » ...

قال في المقال :

« تتمثل حيوية الفكر الإسلامي ونشاطه في تلك الثروة الضخمة من الكتب التي أخذ المؤلفون الإسلاميون يكتبونها منذ أن بدأت نهضتهم العقلية في الازدهار في القرن الثاني الهجري ، والتي سابت ركب الحضارة طوال العصور ، وخلدت آثار العبقرية الإسلامية في الفقه والتشريع ، واللغة ، والأدب ، والتاريخ والرحلات والفلسفة والطب ، وسائر فروع العلم التي عرفتها الإنسانية إلى اليوم .

وتتميز المكتبة الإسلامية بميزة لم تتوفر لسواها من المكتبات : ذلك أنها تستمد إلهامها ونموذجها من كتاب سماوي خالد ، ضرب لها المثل في البيان ، وفتح أمام أصحابها آفاق المعرفة ، ووجههم إلى الدرس والبحث ، فما هو إلا أن استقرت الأوضاع في عالمهم الواسع الجديد حتى عكفوا على دراساتهم في شغف وجد ، وحتى سلكوا سبل التخصص في ميادينها ، ونظموا طرق جمع المعلومات فيها ، وأخذوا أنفسهم بشيء من النقد لما يجمعون ، فلم يفته الزمن الإنسان الهجري حتى كانت نهضتهم التأليفية قد بدأت تؤتي ثمارها في صورة كتب لا تزال - وسعظل - عماد الباحثين في الدراسات الإسلامية والعربية .

ومن الثمار الأولى لتلك النهضة كتاب « السيرة النبوية » الذي نعالجه اليوم تيمناً بصاحب « السيرة » صلوات الله وسلامه عليه ، ومقابلة لتاريخ الزمى المكتبة الإسلامية ، واعتزازاً بكتاب إسلامي قديم شاركت « مصر » في فضل تأليفه . فالكتاب يمثل جهود عالين من السابقين في تاريخ « المغازي والسير » : أحدهما ، محمد بن إسحاق اللدني الذي توفي في منتصف القرن الثاني للهجرة ، والثاني عبد الملك بن هشام الماعري المصري الذي توفي بمصر في أوائل القرن الثالث ، فأما العالم الأول فقد جمع مادة السيرة من الأخبار والروايات التي كان يتناقلها مجتمع « المدينة » ويحفظها رواها ومحدثوها ، وأضاف إلى ذلك ما جمعه أثناء زيارته « للاسكندرية » وسماعه من أهل الحديث بها ، وأما العالم الثاني - وهو ابن هشام - فقد أحمل فيها يد التنظيم والتلخيص والنقد : فاقصر من مادتها الواسعة على ما كان خاصاً بنسب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم ما كان منصباً على سيرته وحياته وغزواته ، تاركاً بعض ما أورده ابن إسحاق مما ليس للرسول فيه ذكر . ولانزل فيه من القرآن شيء ولادعت إليه ضرورة التفسير والاستشهاد . مهملاً بعض أشعار رواها ابن إسحاق وشك هو في صحة نسبتها إلى أصحابها ، مستقصياً بعض التفاصيل مما جمعه أثناء إقامته في مصر .

وقد أبى أهل المغرب الإسلامي إلا أن يأخذوا بنصيبهم من خدمة سيرة الرسول ، فانتدب عالم ضريز من علمائهم - هو « عبد الرحمن السهيلي » الذي عاش في القرن السادس الهجري - لكتابة شرح على سيرة ابن هشام سماه « الروض الآنف » وجمع مادته كما يقول من أكثر من مائة وعشرين مرجعاً .

فالكتاب الذي بين أيدينا إذن يمثل محصول أربع مراحل في التاريخ

لسيرة الرسول صلوات الله عليه ، الأولى مرحلة السابقين الأولين من حفاظ السيرة ومدوني صحفها من أمثال « عروة بن الزبير » و « ابن شهاب الزهري » والثانية : مرحلة الجمع الشامل لأخبار السيرة وكل ما يتصل بها من تاريخ وقصص وأدب على يد « ابن إسحاق » ، والثالثة : مرحلة التنظيم والتلخيص على يد « ابن هشام » وتلك المراحل الثلاث تشهد بما كان لفكركي القرنين الأولين من الهجرة في المدينة ومكة والبصرة ومصر من عناية بسيرة رسولهم وجمع مادتها وتمحيصها ووضعها في مكانها من حلقات التاريخ الإسلامي .

أما المرحلة الرابعة فهي مرحلة الشرح والتفسير التي ذهب بفضلها أهل المغرب الإسلامي . هذه الجهود المتتالية أثمرت مرجعاً هاماً في سيرة الرسول اعتمد عليه المؤرخون الإسلاميون خلال العصور ، كما اعتمد عليه كتابنا المحدثون من أمثال « طه حسين » و « العقاد » و « هيكل » و « الحكيم » في تاريخهم لحياة الرسول أو تحليلهم لمعبريته ، أو عرضهم لسيرته في قالب قصصي جديد . وقد أدرك الغربيون قيمة هذا الكتاب منذ القرن الماضي فترجموه إلى بعض لغاتهم كالألمانية ، وطبعوه مراراً وأضافوا إليه الفهارس والتعليقات ويقوم الآن مستشرق إنجليزي معروف بترجمة الكتاب إلى الإنجليزية وقد أوشك على الانتهاء من مهمته .

ومنذ عشرين سنة مضت قام ثلاثة من الباحثين المصريين بإعادة طبع السيرة النبوية لابن هشام ، فحققوها وقابلوا بين نسخها المطبوعة والمخطوطة وضبطوها ووضعوا فهارسها ، وبذلك سهّلوا على القارئ العربي الحديث دراستها والرجوع إليها .

الكتاب يبدأ كما قلنا بإيراد نسب الرسول منذ « إسماعيل » مبرزا صلة مصر بهذا النسب من طريق « هاجر » أم إسماعيل التي نشأت في « دلتا مصر »

ومن طريق « مارية » التي تسراها الرسول فولدت له ابنة إبراهيم ، والمروى أنها نشأت في صعيد مصر ، ويذكر الكتاب بمض الأحداث والظواهر المشهورة في تاريخ الجاهلية كقصة سد مأرب ، واعتناق (تبيع) ملك اليمن النصرانية ، وقصة أصحاب الفيل وغيرها مما وردت إلى الكثير منه اشعارات في القرآن ، وهو يفصل في بعض هذه القصص تفصيلا أفاد منه من جاء بعده من المفسرين والمؤرخين : كالذي فعل في قصة « الفيل » إذ بدأها من غلبة أبرهة على اليمن ، وبنائه الكنيسة التي أراد أن يصرف إليها حج العرب ، وعزمه على هدم الكعبة بيت الله الحرام ، وما كان بينه وبين عبد المطلب من لقاء وحديث ، وما وقع لأبرهة حين هبأ فيه وعبا جيشه ، وتهبأ لدخول مكة وما حدث للجيش المغير ، إذ أرسل الله تعالى عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار دقاق يحملها ، لا يصيب منهم أحدا إلا هلك : فخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا وراحوا يتساقطون هنا وهناك وأصيب « أبرهة » في جسده فأخذ يفتثر . ويذكر « ابن إسحاق » هنا أول مارؤث الحصبة والجدرى بأرض العرب كان ذلك العام .

فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم كان مما عد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله ما رد عنهم من أسوأ الحبشة فأنزل في ذلك سورة الفيل ويستمر الكتاب في تفسير ألفاظ السورة .

ويروى ابن إسحاق في آخر هذه القصة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسائره بمكة أميين مقعدين يستطمان الناس ثم يورد نماذج مما قيل من الشعر في هذه الحوادث بعضها لأمية بن أبي الصلت وبعضه لشعراء إسلاميين كالفرزدق وابن قيس .

هذه التفاصيل لها أساسها التاريخي ، ومن الراجح أن القصص قد اختلط فيها بالتاريخ ، ولكنها على أية حال تفيد الباحث في التفسير وفي الأدب وتعطي صورة من أحداث البيئة العربية في المرحلة التي ولد فيها الرسول صلوات الله وسلامه عليه . ثم يستمر بنا الكتاب في تتبع النسب النبوي من « معد » إلى « محمد » وبطينا معالم من نشأته ، وخروجه مع عمه أبي طالب في تجارته إلى الشام ، وما كان لهذا الركب من أمر مع « بحيرا » الراهب ، وما نصح به الراهب أبا طالب إذ قال له « ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود . فوالله لن رأوه وعرضوا منه ما عرفت ليعفنه شرا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده » ، ويتناول الكتاب الأحداث التي تنصل بحياة الرسول قبل بعثته ، كحرب « الفجار » التي اشترك فيها وهو في حوالى الخامسة عشرة من عمره . ثم يقص علينا أمر خروجه في تجارة خديجة إلى الشام وزواجه منها وهو في سن الخامسة والعشرين ، وحديث « خديجة » بشأنه مع « ورقة بن نوفل » وبناء الكعبة واخلاف قريش فيمن يضع الحجر الأسود ، وتحكيمهم محمداً في هذا ، وما كانت عليه الكعبة قبل البعثة في مظهرها ومساحتها وصورتها ، وما سبق البعثة من أمور وظواهر كانت كالإطلائع لها ، وإلى بعضها أشار القرآن الكريم . أما سيرة الرسول من أول البعثة فالكتاب يتبع منهجاً مفصلاً جازياً على نسق الحوادث والفتوات وتتابعها وما نزل في كل حادثة من قرآن ، وما قيل فيها من شعر ، ومن اشترك فيها من الأشخاص وما أترعن الرسول فيها من قول أو عمل ، وما صاحبها من التشريع والأحكام ، وما لا بسما من العمود والمواثيق ، وما سجل الرسول وأصحابه وأنصاره فيها من ضروب البسالة والإقدام ، وما امتحن به المسلمون أحياناً من بلاء أو هزيمة ، وما وضع الرسول من الأسس والقواعد للدولة الإسلامية

الجديدة ، وما رسم لها من الخطط المستقبلية ، التي تولى تنفيذها خلفاؤه من بعده . وهكذا نجد أنفسنا أمام سجل واف لحياة تلك الشخصية العظيمة ، التي غيرت وجه التاريخ ، وأخرجت للعالم حضارة إنسانية راقية تقوم على دعائم العقيدة والمعرفة والفضيلة والأخوة ، وهذا السجل يستمد مادته من مصدر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو القرآن ، ومن الأخبار التاريخية والقصصية والأدبية التي حفظها الرواة وتناقلوها ، حتى أوصلوها إلى عهد التدوين والتأليف ، وكتاب السيرة النبوية على هذه الصورة يهيء — في نظري — أداة من أدوات التربية الإسلامية الفاجحة التي تنفع الشباب في دور فتوتهم ورشدهم ، فهي تصالهم بحياة الرسول في طريقة محبة تجمع القرآن والتاريخ والفصص والأدب . وكل ما نحتاجه أن يقوم باحث حديث فيعرضها من جديد عرضا منظما ، يناسب تفكير العصر الحاضر ، ويربط بين بعض هذه الفواحي والبعض الآخر ، ويمدها لأن تكون غذاء صالحا لعاطفة الشباب الدينية ومعارفه التاريخية وذوقه الأدبي .



... هذا هو المقال ، ويشاء الله سبحانه أن ينشر في الوقت الذي كنت قد فرغت فيه من تأليف الكتاب .

إن الكاتب يعطى تقريره فيقول : « وكتاب السيرة النبوية على هذه الصورة يهيء — في نظري — أداة من أدوات التربية الإسلامية الفاجحة ، التي تنفع الشباب في دور فتوتهم ورشدهم ، فهي تصالهم بحياة الرسول ، في طريقة محبة ، تجمع بين القرآن ، والتاريخ ، والفصص ، والأدب . . . » ثم يعضي فيقول : « وكل ما نحتاجه أن يقوم باحث - حديث - فيعرضها

من جديد ، عرضاً مفضلاً يناسب تفكير العصر الحاضر ، ويربط بين بعض هذه النواحي والبعض الآخر ، ويمدها لأن تكون غذاء صالحاً ، لماطفة الشباب الدينية ، ومعارفة النار . وذوقه الأدبي .

هذا هو تقرير الدكتور خلف الله عن سيرة ابن هشام ، وهذه هي آماله التي يأمل أن يحققها له باحث حديث .

وهو نفس مادار في نفسى ، حين قرأت سيرة ابن هشام . . سألت نفسى : لماذا لا أقوم بإخراج هذا الكتاب النفيس الكريم ، لإخراجاً يناسب عقول عصر الفضاء ؟ .

لماذا لا أعرضها عرضاً حديثاً ، لطيفاً ، بعيداً عن الحشو والاسترسال ؟
لماذا لا يطلع شبابنا ، على حياة رسول الله ، الحقيقية البعيدة عن الأهواء ؟
كيف يحال بين جيلنا الصاعد ، وبين رسول الله ؟

تالله لأفصن على الناس قصة رسول الله ، بفضاء لا عوج فيها . . .
وكنت أشعر وأنا أقوم بذلك العمل ، أن كل إنسان في هذا العالم يشعر نفس الشعور الذى أعانيه .

كنت أحس أن من الإجرام أن تظل تلك الكنوز الفوالى ، مطمورة ، مقبورة ، لا يصل إليها إلا أهل البحث والنقص . . . وإلا من له صبر على مصاحبة الكتب القديمة .

إن ذلك النور يجب أن يخرج إلى الفاس ، ليشتع إشعاعاته العالية ، على قلوبهم ، وعقولهم ، وكيانهم .

فلعل أكون قد حققت آمالك يا دكتور ، وحققت آمال الجيل الصاعد ، بإخراج الكتاب على هذه الصورة ، التى تجمع بين جلال القديم ، وجمال الحديث .

ولعل الكتاب بوصفه الذى بين أيدينا ، يسكون فيه ما يرضى نفوسنا
جميعاً رجالاً ونساء . . . من صدق فى الأداء وفن فى التعبير ؟ .

وأنا أشعر عن يقين أن الكتاب جاء سهلاً ، ميسوراً ، جميلاً . .
وماذا وراء الجمال ، والسهولة ، والتيسير ؟ .

فالحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شىء لا يستطاع الإحاطة به علماً
وكيف يمكن لبشر أن يحيط بمحمد صلى الله عليه وسلم ؟ .
كيف . . والناس دونه فى كل شىء ؟ .

دونه فى العلم ، فى الخلق ، فى الصفات ، فى أسلوب الحياة ، فى الفهم عن
الله ، فى الاستقامة على أمر الله ، فى كل شىء نحن دون رسول الله . . .
فكيف يتكلم الأدنى عن الأعلى ، أو كيف يتكلم الجاهل عن العالم ،
أو كيف يرى الأعمى شعاع النور ؟ .

ولكن الذى ينبغى أن يتقرر دائماً ، أن عظمة إنسان ما ، لا تمنع الناس
أن يقولوا قولهم فيه ، ولو كانوا هم دونه مقاماً .

ولو أنا وقفنا نتطلع إلى رسول الله ، ثم نقول : مالنا من سبيل إلى فهم
ذلك الرجل ، فالأولى لنا ثم الأولى ، أن نصمت . . . لو أننا فعلنا هذا
لسكنا آتمين .

لأن الله تعالى أمرنا أن نتبع رسول الله ، واتباعه صلى الله عليه وسلم ، لا
يتأتى إلا بالإسلام بحياته صلى الله عليه وسلم .

فن لم يعرف حياته صلى الله عليه وسلم ، لم يستطع أن يقبمه ، فى صغيرة
أو كبيرة .

فنحن مأمورون من الله بمعرفة رسول الله ، لأن هذا هو الطريق الأوحـد .
لا تباعه في أمور الحياة .

ومن هنا يلزم أن نتكلم عن رسول الله ، ولولم نكن في مقام رسول الله
وفي هذا العصر . عصر الفضاء . . حيث يقف الإنسان مغروراً بعلمه ،
منكراً لله ، ربه الذى خلقه . .

في هذا العصر نشهد الحاجة إلى رسول الله ، لأنه هو النور الذى يكشف
أمامنا حقائق الحياة .

وها هو الإنسان الحديث ، بعلمه ، وذرتـه ، وصواريخه ، وسفن فضائه ،
وكل فتوحاته العلمية الرائعة ، يقف حائراً يسأل : ولكن أين الحق من وراء
هذا كله ؟ لقد انفتحت لنا آفاق السماء ، وسقطت أمامنا حجب المادة ، وأصبح
الكون أداة طيعة في أيدينا . . . ولكن ماذا وراء هذا ؟

إن هناك شعوراً ملحاً ، يدق بعنف على قلب الإنسان الحديث ، ويصيح
به : ماذا وراء الآفاق ، وماذا وراء الظواهر ، وماذا وراء المادة ؟
. . . ولا أحد يستطيع أن يجيب على تلك الأسئلة إلا رسول الله . . .
صلى الله عليه وسلم . . .

محمد . . وحده . . هو الذى يستطيع أن يتقدم ، ويجيب على أسئلة
البشرية في عصر الفضاء .

نعم . . هو صاحب هذا المقام . وحده ، دون الناس جميعاً .
ولو بعث فيهم الآن ، لقال لهم : تعالوا أيها الحيارى ، السكارى ، بخمر
التكنولوجيا . . . ما هذا الذى منه تمجبون ؟ .

وأيـن سفينة الفضاء ، ورحلاتكم في الفضاء ، محـا ارتفعتم عن الأرض ومها
كان عدد دوراتكم حول القمر . . . بل أين أنتم ولو وصلتـم إلى السكواكب

كلها ، ونزلتم بها ، وتنقلتم بينها . . أين أنتم ولو كان هذا حالكم ، من رحلة الإسراء والمعراج ؟

لقد كانت رحلة الإسراء والمعراج ، أكبر رحلة فضاء عرفها الإنسان ، ويعرفها إلى يوم القيامة .

لقد خرج محمد - صلى الله عليه وسلم - من فراشه إلى بيت المقدس ليلاً ، ثم عرج به إلى السماء الدنيا ، فالثانية ، فالثالثة ، فالرابعة ، فالخامسة ، فالسادسة ، فالسابعة . . . ثم كان قاب قوسين أو أدنى . . ثم أوحى ربه إليه ما أوحى . . . ورأى من آيات ربه الكبرى ، ثم عاد إلى بيت المقدس ، ثم إلى مكة ، حيث عاد إلى فراشه ، وهو لم يزل دافئاً ١١١ .

في لحظة تم هذا لحمد - صلى الله عليه وسلم - . . وفي هذا الزمن القليل عبر السماوات ، وما وراء السماوات ، وشهد المشاهد العلى ، حق التقى بربه ، وفرض عليه فروضه ، ثم عاد إلى الأرض كرة أخرى . . . فهل يتصور أن ترتقى رحلات الفضاء إلى هذا المقام ؟

الهم لا . . . وهذا هو الفارق بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين هؤلاء المجانين ، الذين بهرتهم أعاجيب علمهم ، فطار طائرهم في الهواء ، ودار مادار بها حول الأرض ، ثم وقف مجبوراً وأعلن في العالم : لقد درت في الآفاق ، والتست هذا الذي يسمى الله ، فلم أجد شيئاً^(١) ١١ .

لكن رسول الله ، حين عاد من رحلة فضائه ، لم يقل كما قال هذا المجنون . كلا ولا أنكر وجود الله - وحاشاه - وإنما أصبح أشد سكيناً بما كان . . يحدث الناس بما رأى .

(١) نعتي بذلك تصريح رائد الفضاء وما أعلنه ونقلته عنه وكالات الأنباء ، من أنه لم ير

الله في رحلته في الفضاء ١ .

لم يقل محمد كما قال المذكور . . وإنما نزل إلى الناس يؤدى إليهم ما افترضه الله عليهم . . خمس صلوات في اليوم والليلة . . وجعل يعلم أصحابه كيف يصلون ؟ !

نزل محمد من رحلته أشد إيماناً بالله ، وأكبر يقيناً
نزل يعلن إلى الناس جميعاً أن لا إله إلا الله . . أن اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم . .

من هنا تشتد الحاجة إلى محمد ، ليرد إلى البشرية عقولها ، ويعيد إليها صوابها .

وعندما يشتد الظلام ، ياتمسس البدر .

إن البشرية لم تسكن يوماً من الأيام ، فى حاجة إلى رسول الله ، منها فى هذه الأيام .

نحن فى عصر يموج بالفتن موجاً . . لنظام مادى ، نحواً من ألف مليون إنسان ، منحضع .

السكرتلة الغربية ، عالم تمزقته الأوهام ، والمطامع ، لا يعرف الله ، إلا من خلال منظار الثالوث .

والعالم الإسلامى .. هو الآخر .. غارق إلى آذانه فى الخلافات والعصبيات والشهوات .

هذ هو العالم الآن . . . ما بين مغرور بعلمه ، ومفتون بعقله ، أو متدين كما يهوى . . .

فما أشد حاجة العالم الآن إلى محمد ، رسول الله صلى الله عليه وسلم .

البشرية تريد أن تعرف محمداً ، وهو ينادى : لا إله إلا الله . .

يسمعهما الشرق ، لعله يرجع . . .

ويسمعا الغرب .. : لعله يصحح عقائده ...
ويسمعا المسلمون ، لعلهم يتحدون ، وينبذون خلافاتهم ، ويتجمعون
حول رسولهم .

العالم كله ينادى : أين محمد ؟ .. أين رسول الله ؟ .
فكان التزاماً .. أن تؤدي ذلك الواجب ، وأن نتقدم إلى الناس كافة ،
ونحن نقول : هذا محمد .. هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم !! .

بمُحَمَّدٍ سَلْبِي

موضوعات الكتاب

رقم الصفحة

٥

مقدمة الطبعة الثانية

٨

مقدمة

ماذا قبل البعثة ؟

١٧

متى ولد ؟

١٨

من لا يقيم ؟

١٩

عودة الطفل إلى أمه

١٩

ولكن الأم تموت

٢٠

عبد المطلب يكفله

٢١

أبو طالب يكفله

٢١

يحبرى الراهب

٢٤

الأمين

٢٤

يشهد حرب الفجار

٢٥

يتزوج

٢٦

يحتمكون إليه

البعثة

٣١

بدء الوحي

٣٤

أول من آمن

٣٤

فتور الوحي

٣٥

بداية فرض الصلاة

٣٥

أول من آمن من الصبيان ؟

٣٦

أبو طالب يقاجهما بصليان !

رقم الصفحة	
٢٦	إسلام زيد بن حارثة
٣٦	إسلام أبي بكر
٣٧	السابقة الأولون
٣٨	الجمهر بالدعوة
٣٨	أول دم في الإسلام
٢٩	بدء الصراع
٤٠	لو وضعوا الشمس في يميني؟
٤٠	أسلم إلينا ابن أخيك؟
٤١	بدء التعذيب II
٤٢	ماذا نقول في محمد؟
٤٤	إيذاء رسول الله
٤٤	إسلام حمزة I
٤٥	عرض الدنيا على رسول الله
٤٧	يسألون عنه اليهود!
٤٩	أول من جهر بالقرآن
٥٠	التعذيب بشدة
٥٠	أحد . . أحد I
٥١	صبر آل ياسر
٥١	أبو جهل يتولى الجريمة
٥١	الهجرة الأولى إلى الحبشة
٥٢	النجاحشي يرفض تسليمهم!
٥٣	إسلام عمر بن الخطاب
٥٧	مقاطعة بني هاشم وبني المطلب

رقم الصفحة	
٥٨	عودة المهاجرين
٥٨	نقض الصحيفة
٥٨	الإسراء والمعراج
٦١	الصدِّيق
٦٢	تطور الصلاة
٦٢	وفاة خديجة وأبي طالب !!
٦٣	قصة زواج عائشة
٦٤	قصة زواج سودة
٦٥	زفاف عائشة
٦٥	لماذا تزوج سودة؟
٦٦	لا تبكى يا بنىة . . .
٦٦	حتى الطائف ... تؤذى رسول الله !!
٦٩	الجن ستة مئون !
٦٩	يعرض نفسه على القبائل !
٧٠	بيعة العقبة الأولى
٧١	بيعة العقبة الثانية الكبرى

الهجرة

٨٥	كيف كانت الهجرة؟
٧٧	وصوله إلى المدينة
٧٨	بناء مسجد رسول الله
٧٩	بدء التنظيم
٧٩	يؤاخى بين المهاجرين والأنصار

رقم الصفحة

٨٠	كيف كان الأذان
٨١	بدء عداوة اليهود وظهور النفاق
٨١	إسلام عبد الله بن سلام
٨٣	متى حوات القبلة ؟
٨٤	فرض رمضان وزكاة الفطر

غزوة بدر العظمى

٨٧	كيف كانت الغزوة ؟
٨٨	بستشير أصحابه
٨٩	سيروا وأبشروا . . .
٩١	ينزل على رأى الحباب
٩١	بفاء العريش
٩٢	بدء المعركة
٩٢	المبارزة
٩٤	أول قتيل من المسلمين
٩٤	النبي يمرض أصحابه على القتال
٩٥	ذبول المعركة
٩٦	نزول سورة الأنفال
٩٨	غزوة بني سليم
٩٩	غزوة الـويق
٩٩	غزوة ذى أمر
١٠٠	غزوة الفرع من بحران
١٠٠	حصار بنى قينقاع

سرية زيد بن حارثة

١٠١

مصرع كعب بن الأشرف اليهودي

١٠١

غزوة أحد

لماذا كانت المعركة ؟

١٠٥

يستشير الشعب

١٠٦

وينزل على رأى الشعب !

١٠٦

الخروج للمعركة

١٠٦

اللقاء

١٠٧

مصرع حمزة !

١٠٧

للرأة تقاتل دون رسول الله !

١٠٩

أروع أمثلة الفدائية

١٠٩

ماذا تصنعون بالحياة بعده ؟

١٠٩

هذا رسول الله

١١٠

أين محمد ؟

١١٠

هند تمثل بحمزة !

١١١

انتهاء المعركة

١١١

لن أصاب بمثلك أبدا

١١٢

ادفنوهم حيث صرخوا

١١٢

فما فعل رسول الله ؟

١١٢

إرهاب العدو

١١٣

غزوة الخندق

١١٧

يوم الرجيع

رقم الصفحة

١١٨	مصرع أربعين آخرين ١
١١٩	ومحاولة لاغتيال رسول الله ١
١٢٠	إجلاء يهود بنى النضير
١٢١	غزوة ذات الرقاع
١٢١	ألا أقتل لكم محمدا ١؟
١٢٢	غزوة بدر الآخرة
١٢٢	غزوة دومة الجندل
١٢٢	غزوة الخندق
١٢٤	غدر اليهود
١٢٥	إن الحرب خدعة
١٢٧	غزوة بنى قريظة
١٢٧	بإخوان القردة ١
١٣٠	وفاة سعد بن معاذ
١٣٠	شهداء يوم الخندق
١٣٠	مصرع سلام بن أبي الحقيق
١٣١	إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد ١
٤٢٣	زواج أم حبيبة بنت أبي سفيان
٢٣٤	زواج زينب بنت جحش
١٣٤	نزول الحجاب صبيحة عرسها

صالح الحديبية

١٣٧	غزوة بنى الحيان
١٣٧	غزوة ذي قرد
١٣٨	غزوة بنى المصطلق

رقم الصفحة	
١٣٨	ليخرجن الأعز منها الأذل
١٤٠	زواجه جويرية بنت الحرث
١٤١	حديث الافك
١٤٧	أبشرى يا عائشة
١٤٧	غزوة الخديبية
١٥٠	بيعة الرضوان
١٥١	عمر يرفض الصالح
١٥٢	الهدنة
١٥٣	ابن سفيان قرينش يأتي مسلماً
١٥٤	شهود الصالح
١٥٤	يتحلل من إحرامه
١٥٤	زول سورة الفتح
١٥٦	الثمار الأولى للصالح
١٥٧	المؤمنات المهاجرات
١٥٨	دمعة ملوك الأرض إلى الإسلام
١٥٩	قصة قيصري
١٦٢	ماذا في الكتاب ؟
١٦٣	قصة كسرى
١٦٣	قصة القوقس

غزوة خيبر

١٦٧	الله أكبر ، خربت خيبر
١٦٧	افتتاح الحصون
١٦٨	مرحب اليهودي

رقم الصفحة

١٦٩

مصرع ياسر اليهودى

١٦٩

بطولة على بن أبى طالب

١٧٠

اسقـلام خيبر

١٧٠

دس المم لرسول الله !

١٧١

حصار وادى القرى

١٧١

ينامون عن صلاة الصبح !

١٧٢

النساء يشتركن فى الغزو

١٧٣

قدوم جعفر من الحبشة

١٧٣

العودة من خيبر

عمرة القضاء

١٧٨

زواج ميمونة بنت الحارث

١٧٨

قريش تطلب إياه الرحيل !

قبل فتح مكة

١٨١

عمرو بن العاص يأتى مسلما !

١٨٢

خالد يروى قصة إسلامه !

١٨٤

غزوة مؤتة

١٨٥

٢٠٠٠٠٠ من الروم !

١٨٦

هذه هى بطولة جعفر !

١٨٦

الشهيد الثالث

١٨٦

خالد يأخذ الراية

١٨٧

إنه سيف من سيوفك

١٨٧

غزوة ذات السلاسل

فتح مكة

١٩١

أسباب فتح مكة

رقم الصفحة

١٩١	أبو سفيان في المدينة
١٩٣	الأسر بالتمبنة
١٩٤	كتاب إلى قریش
١٩٥	الخروج في رمضان
١٩٥	قصة إسلام العباس بن عبد المطلب
١٩٥	قصة إسلام أبي سفيان
١٩٨	عرض الجيش
١٩٩	هند تأخذ بشاربه
١٩٩	التواضع لله
٢٠٠	ترتيب الجيش
٢٠٠	خطبته يوم فتح مكة
٢٠١	هاك مفاتيحك يا عثمان
٢٠١	كيف كان البيت ؟
٢٠٢	جاء الخلق وزهق الباطل
٢٠٢	إن الله حرم مكة
٢٠٣	ماذا قلتم ؟
٢٠٣	سراية تدعو إلى الله
٢٠٤	اللهم إني أبرأ إليك
٢٠٤	خالد يهدم المعزى
٢٠٤	انتهاء المعركة

غزوة حنين

٢٠٧	المزينة
٢٠٧	أنا رسول الله
٢٠٨	ثمانية أهل مكة

رقم الصفحة

٢٠٨

أين أيها الناس ؟

٢٠٨

الآن حتى الوطيس

٢٠٩

حصار الطائف

٢٠٩

رسول الله أول من رمى بالمنجنيق

٢١٠

أبداؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟

٢١١

إسلام مالك بن عوف

٢١١

توزيع في هوازن

٢١٢

المؤلفة قلوبهم

٢١٢

اللهم ارحم الأنصار

٢١٤

المودة إلى المدينة

غزوة تبوك

٢١٧

اللهم ارض عن عثمان

٢١٧

لا أجد ما أجلكم عليه

٢١٨

تخلف بعض المسلمين

٢١٨

لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا

٢١٩

رحم الله أبا ذر

٢١٩

أمان لأهل أيلة

٢٢٠

إنك ستجده يصيد البقر

٢٢١

مسجد الضرار

٢٢١

الثلاثة الذين خلفوا

٢٢٢

كعب بن مالك يروي قصته

٢٢٧

ثقيف تدخل الإسلام

٢٢٨

تدمير الطاغية اللات

٢٢٨

أنو بكر يجمع بالناس

رقم الصفحة

عام الوفود

٢٣٣	وفد بني نعيم
٢٣٤	يا ابن عبد المطلب
٢٣٥	قدوم الجارود
٢٣٦	مسيمة الكذاب
٢٣٦	وفد طيء
٢٣٦	والله ما هذا بملك
٢٣٩	هزبن معد بكر
٢٣٩	ما بال هذا الحرير ؟
٢٣٩	ملوك حمير تبعث رسلها
٢٤	الروم يصلون فروة
٢٤٠	إسلام بني الحرث بن كعب
٢٤١	الرسول يبعث أمراء الزكاة
٢٤١	كتاب مسيمة الكذاب

حجة الوداع

٢٤٥	مق خرج النبي ؟
٢٤٥	كيف كانت تلك الحجة ؟
٢٥١	اللهم اشهد
٢٥٢	العودة إلى المدينة
٢٥٣	بعث أسامة بن زيد إلى فلسطين

إلى الرفيق الأعلى

٢٥٧	لقد اخترت لقاء ربي
-----	--------------------

رقم الصفحة

٢٥٧	وارأساء
٢٥٨	المرض يشقد
٢٥٨	ينمى نفسه
٢٥٩	أنفذوا بعث أسامة
٢٦٠	استوصوا بالأنصار خيرا
٢٦٠	من صنع هذا بي ؟
٢٦١	يدعوا بالإشارة
٢٦١	إذا والله لا يختارنا
٢٦٢	مهروا أبا بكر فليصل بالفاس
٢٦٢	فأين أبو بكر ؟
٢٦٣	النفرة الأخيرة
٢٦٤	يصلى وراء أبي بكر
٢٦٤	إلى الرفيق الأعلى
٢٦٥	والله مامات
٢٦٦	أبو بكر يُقبَل رسول الله
٢٦٦	وما محمد إلا رسول
٢٦٧	عمر يروى قصة اختيار أبي بكر
٢٦٨	عمر يعتذر
٢٦٩	ألمت بخيركم
٢٦٩	إعداد الجسد الشريف
٢٧٠	الصلاة على رسول الله
٢٧٠	في ليلة الأربعاء
٢٧٣	خاتمة
٢٨٥	موضوعات الكتاب